٣٢

الروائع

كعب بن زُهير

بانت سُعاد

ومقطّعات شتّى

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

الروائع

آراء الادباء من شرقيين ومستشرقين (تابع)

رأي الاستاذ ماسيه

قال، بعد ان وصف السلسلة الاولى وقابل «الروائع» بمجموعة هاتيه (Hatier) الفرنسوية المعروفة باسم «*Les Classiques pour tous*» :

« L'ensemble de ces petits volumes, lorsque leur nombre sera suffisant, contribuera à faciliter la compréhension des diverses tendances de la littérature arabe. Il convient de louer franchement cette intelligente initiative. »

H. Massé
Société historique algérienne, Alger

رأي الاستاذ زترستين

قال ، بعد ان وصف الجزء الاول :

« Nous ne doutons pas que cette entreprise ne puisse rendre de grands services aux étudiants. »

K. V. Zetterstéen
Le Monde Oriental, Uppsala, 1928.

رأي جرائد شرقية فرنساوية

نشرت جريدة Le Réveil المصرية الفرنسوية بعنوان : *Des « Classiques pour tous » arabes* مقالاً واسعاً في « الروائع » واسلوبها الجديد ، واقبال الادباء عليها ، نكتفي منه بما يلي :

« ... Pour la première fois, en effet, les auteurs arabes sont présentés sous une forme aussi pratique, car nous ne voulons pas tenir pour des éditions scolaires les compilations indigestes qu'on nous présente souvent comme des morceaux choisis. M. Fouad Boustany comble donc un vide. Nous admirons surtout sa méthode. Nous admirons d'abord qu'il en ait une. Par là, il nous change

كعب بن زُهَير

بانت سُعاد

ومقطّعات شتّى

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البُستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

Exp. ١٩٣٣ ٣٢ — ١

كعب بن زُهَير

؟ — ٦٦٢ ؟

نشأ كعب في أُسرة تمتُّ الى الشعر بصلات متينة ؛ وكان لـه من مؤالفة ابيه ، ورواية شعره ، ما هذَّب فيه ذاك الميل الطبيعي . فبدا شعره مثقفاً يقرن فيه منازع القريحة بمظاهر الصنعة ، فيدلّ به على تقلّبات حياته ، وعناصر شاعريته .

حياته

عصره

لقد حاول اكثر المعاصرين من مؤرّخي الادب العربي ان يعيّنوا سنةً لوفاة شاعرنا ، فذكر بعضهم السنة ٢٤ للهجرة اي ٦٤٤[1] . وفضَّل غيرهم السنة ٦٦٢ ، مستندين الى حادثة البُردة ، ورغبة معاوية في شرائها[2] ، مستنتجين من ذلك ان الشاعر ادرك خلافة معاوية دون شكّ (٦٦١ — ٦٨٠) ، معيّنين لوفاته السنة ٤٢ للهجرة الموافقة للسنة ٦٦٢ المذكورة اعلاه . على ان هذا الاستنتاج لا يفرض صحة ما يُروى عن رغبة معاوية في شراء البردة من كعب فحسب ، بل يفرض ايضاً ان معاوية كان خليفةً اذ ذاك . وهو أمرٌ لم يشر اليه احد من قدماء المؤرّخين . بل ان اقدمهم ، واجدرهم

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر ١٩١١ ، ١ : ١٦٢ ؛ ثم احمد حسن الزيات : تاريخ الادب العربي (الطبعة الثانية) ، مصر ، ص ٩٣

٢) احد اخوة المدارس المسيحية : تاريخ الاداب العربية ، مصر ١٩١٤ ، ص ١٠٨ و١١١

بمعرفة مآتي نبي الاسلام ، عنيتُ ابن اسحق صاحب «السيرة» ، لا يشير الى «البردة» في كلامه عن اسلام كعب ومدحه النبي . ولا يزيد عليه ابن هشام شيئاً في ذلك[1] . واذاً فان ذكر البردة متأخر عن اوائل القرن التاسع . هذا فضلًا عن ان اكثر من يذكرون الحادث لا يصرّحون بان معاوية طلب شراءها من كعب نفسه ، بل يقولون انه اشتراها من ولده[2] . ومهما يكن من أمرٍ فان ذكرِ سنةٍ بعينها لوفاة كعب لمن الصعوبة بمكان[3] . واصعب من ذلك تعيين سنة لمولده . ونحن لا نعرف يقيناً الا سنة اسلامــه وهي السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠) كما ورد في السيرة[4] ، واقرّه البرنس كايتاني[5] .

نشأته

اسمه — قومه

كعب بن زهير بن ربيعة المعروف بابي سُلمى ، بن رباح او رياح المُزَني . وامه كبشة بنت عمّار بن عدي من بني غطفان ، وهي امرأة زهير الثانية ،

---

١) ابن هشام : سيرة الرسول (طبعة Wüstenfeld) ص ٨٨٧ — ٨٩٣

٢) محمــد ابن سلام : طبقات الشعراء (طبعة Hell) ص ٣١ ؛ ابن حجر العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة (طبعة الخانجي ، مصر) ٥ : ٣٠٢ ؛ واطلب ايضاً René Basset, *La Bânat So'âd*, Alger, 1910, p. 50 ، وفيها المآخذ الوافية عن مسألة البردة .

٣) لا نستغرب ان تكون السنة التي ارادها المرحوم جرجي زيدان لوفاة كعب السنة ٤٢ هـ . جرياً على الاستنتاج المذكور من حادثة معاوية والبردة ، وان يكون قد حصل غلطة في الطبع ، فانقلب مركز الرقمين ، ومن ٤٢ اصبحت السنة ٢٤ ، فتبعه على ذلك من نقل عنه من المؤرخين . وهو امرٌ ممكن .

٤) ابن هشام : سيرة الرسول ، ص ٨٨٧

٥) اطلب Leone Caetani, *Annali dell'Islâm*, vol. II, t. I, p. 223-224

وأم وُلده الثلاثة كعب وبُجير وسالم. وذلك ان زهيرًا كان قد تزوَّج امرأة تُكنى « أم اوفى » ، على مـا ذكرنا[1] ، فلم يعش له منها اولاد. فتزوَّج بنت عمَّار هذه ، واقام في قومها بني غطفان حتى كاد يُنسب اليهم ، بل نسبه اليهم بعض المؤرخين ، سائرين على اثر ابن قتيبة[2]. فنشأ كعب في غطفان كأنه واحد منهم ، يشترك في جميع مآتيهم حرباً وسلماً. وقد رثى ربيعة ابن مـكدّم الـكناني لصلتهِ بقوم أمه[3] . على انه لم ينسَ اصله وقومـه الادنَين ، حتى اذا سنحت الفرصة افتخر بالُمزَنيّين وذكَر الُمفاخِر بكرم اصلهم ، فقال :

هُمُ الاصلُ مني حيث كنتُ ، وانني من الُمزَنيّين المضيفين للكرمْ[4]

وقد يتجاوز ذلك الى افتخاره بانه يُشبه اباه فحسب ، دون ان « ينتزعه شبهُ خالٍ »[5] من غطفان.

حظّ بيته من الشعر

اشار جمهور الادباء الى حظّ هذه الأُسرة من الشعر ، حتى اجمعوا ، او كادوا ، على انه « لم يتصل الشعر في وُلد احد من الفحول في الجاهلية ما

---

١) اطلب الروائع ٢٥ [زهير] ز
٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Gœje) ص ٥٧
٣) الاغاني ١٤ : ١٢٢–١٢٣ ؛ واطلب المنتخبات ، ص ١٥
٤) ابن عبد البرّ النمري : كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، حيدر اباد ، ١٣١٨هـ. ١ : ٢٢٨ ؛ وابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ٥٧ ، وقد ورد في العجز : « من المزنيّين المصفَّين بالكرم » ؛ واطلب المنتخبات ، ص ٢٣
٥) ابن عبد البرّ : الكتاب المذكور ١ : ٢٢٧

اتصل في وُلد زهير »[١]. فمن ابي سُلمى والد زهير، — « وكان ابو سُلمى ايضاً شاعراً »[٢] — الى بشامة بن الغُدير خاله، الى اوس بن حجر، زوج أمه، الى زهير نفسه، الى أُختَيه سلمى والخنساء، الى ابنيه كعب وبُجير، سلسلة شعرية متصلة. لقد تختلف حلقاتها قيمةً، دون شكٍّ، ولكنها تشترك بهذا الفيض من الالهام الشعري. ولم تنقطع هذه السلسلة بشاعرنا كعب بل تجاوزته الى ابنه عُقبة المعروف بالمُضرَّب[٣]، فالى حفيده العوَّام، فالى ابن حفيده بشير.

ميله صغيراً الى النظم

في هذه البيئة الطافحة بالالهام ترعرع كعب. فسمع الشعر طفلاً، ورواه ناشئاً، وقاله يافعاً. وكان كبير ابناء زهير[٤]، فعني به ابوه عناية خاصة، يهذّب ذوقه، ويروّيه شعره، وقد يمنعه النظم، وقد يضربه اذا نظم قبل استحكام ملكته، كما سيأتي. حتى نبغ، واذا به يقرن

١) ابن قتيبة: الكتاب المذكور، ص ٥٧؛ الاغاني ٢: ٩١؛ عبد القادر البغدادي: خزانة الادب، بولاق، ١: ٢٧٥ – ٢٧٦ الخ...

٢) ابن قتيبة: ك. م، ص ٦٠

٣) المُضرَّب او المَضْرَب، كما في ابن قتيبة؛ لُقِّب بذلك « لانه شبَّب بامرأة من بني أسد. فضربه اخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت، واخذ الدية. فسمي المضرب. » (ابن قتيبة: ك. م. ص ٦٠)

٤) يظهر من حادثة كعب وزيد الخيل، التي سنشير اليها في ما يلي، ان كعباً كان أكبر من اخيه بُجير. اما سالم فقد قُتل صغيراً. رمى به جواده، فدقّت عنقه، وكان من اجمل شبّان عصره. فحزن عليه ابوه حزناً شديداً ورثاه؛ ورثاه كذلك اخوه كعب وطال حزنه عليه حتى لامته امرأته معزّيةً (الاغاني ٩: ١٥٧ – ١٥٨؛ وديوان زهير، في مجموعة (وليم بن الورد: العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين، ص ١٩٢)

بالميل الفطري ثقافةً متينة كان زهــير من اشهر ممثليها في ذاك العصر. روى زهير لاوس بن حجر ولطفيل الغنوي، وكلاهما شاعر كبير، فادرك مبلغ الفــائدة في هذا التمرين، وكم تستحكم ملكة الشاعر في الراوي حتى يكاد النـاقد لا يميّز، اذا طال العهد، بين قصائد الاستاذ وقصائد التلميذ[1]. فاقبــل على ابنه يأمره بحفظ اشعاره، ويهدّده ان نسيها، كما نقل الميــداني في قصة مفادها ان كعباً ركب واباه سفينــةً في بعض الاسفار فانشد زهير قصيدةً، وقال لابنه: «احفظها». فقال: «نعم». وأمسيا. فلما اصبحا، قال له: «يا كعب، ما فعلت العقيلة؟» — يعني القصيدة — قــال: «يا أبتِ، انها تشمّرت مع الجاري.» يعني نسيتها فمرّت مع الماء. فاعادها عليه وقال: «ان شمّرتها شمّرتُ بك على اثرها.»[2]

على ان زهيرًا لم يكن ليسهّل على ابنه النظم صغيرًا. بل كان يمنعه ذلك خوفاً من ان تكون ملكته لم تستحكم بعد، فيُروى له مــا لا خير فيه. وكان يشدّد عليه في المنع حتى الضرب والحبس، على ما روى صاحب الاغاني[3]. ولكن شاعرية كعب لم تكن لتضعف فكان «كلما ضربه ابوه يزيد» في نظم الشعر. ولعل في الامر مبالغة ادّت الى تلك الاساطير التي تُروى عن نبوغ كعب صغيرًا، وعن امتحان ابيه اياه مستجيزه عدة ابيات، وعن اجازته بيتاً عجز عنه ابوه والنابغة معاً، مما يراه المطالع في

---

١) من ذلك مــا يتحقّقه الباحث من تردّد الادباء في نسبة بعض القصائد، بين كعب وزهير وأوس بن حجر. راجع René Basset, *op. cit.* p. 16

٢) الميــداني: مجمع الامثال (في نظم الاحدب: فرائد اللآل، بيروت ١٣١٢ ﻫ) ١: ١٠٧

٣) الاغاني ١٥: ١٤٨

الاغاني،والاصابة لابن حجر، وديوان زهير، وديوان النابغة وغير ذلك من كتب الادب. وقد يكون في بعض هذه الحكايات ما يفيد دارسي امثالها من حوادث المساجلات الشعرية والاجازات، فنرويها عن الاغاني، وفيها يظهر ان زهيرًا، خلافاً لما تقدّم ذكره، لم يكن ليمنع ابنه النظم صغيرًا، بل بالضدّ كان يشجّعه ويغريه باجازة البيتين. قال:

قال زهير بيتاً ونصفاً، ثم اكدى. فمرَّ به النابغة فقال له: «يا ابا امامة، اجز». فقال: «ما قلتَ؟» قال: قلت:

تزيد الارض، إمّا متَّ خفّاً وتحيا، إن حييت بها ثقيلا
نزلتَ بمستقرّ العرض منها

أجز: (قال) فاكدى، والله، النابغة. واقبل كعب بن زهير، وانه لغلام. فقال له ابوه: «أجز، يا بنيَّ.» فقال: «وما أُجيز؟» فانشده. فاجاز النصف بيت فقال:

وتمنع جانبيها ان يزولا

فضمّه زهير اليه، وقال: «أَشهد انك ابني.»[1]

وقد كان من نصيب هذه الحكاية ان توسّع فيها الرواة وتناقلوها على طرق عديدة،جاعلين الناظم زهيرًا مرة،والنابغة مرةً أُخرى، واضعين الحادثة في منزل زهير تارةً، وفي البريّة طورًا. وفي كل ذلك يكون فضل الاجازة لكعب. وقد انتقل بها بعضهم الى الحيرة، فجعلوا النابغة يمدح النعمان فينشد البيت الاول:

تخفّ الارض ان تفقدك يوماً وتبقى ما بقيت بها ثقيلا

ثم يرتج عليه. فيغضب النعمان اذ يعتبر البيت هجاء لا مديحاً صريحاً.

---

١) الاغاني ١٥ : ١٤٧

حتى يهبَّ كعب، ويكون قد حضر المشهد من اوّله ، فيخلّص الشاعر من ذاك المأزق مجيزًا :

لانك موضع القسطاس فيها فتمنع جانبيها ان يميلا[١]

مآتيه قبل الاسلام

لا نعلم الشيء الكثير عن مآتي كعب قبل الاسلام. الا ما يمكننا ان نستنتجه من الروايات القليلة ، والاشارات المتفرّقة في اخبار ابيه خاصة. من ذلك انه كان في اول امره يخرج في الابل ، على عادة ابناء البدو ، فيرعى ماشية ابيه[٢] ، وحده او مع الرعيان. وقد يُغير على ابل جيرانه ، وقد يُغار على ابله. فيشير الى هذه الحوادث في شعره. وقد ذكر الميداني حادثة لعلها جرت في شباب كعب. وذلك ان الحارث بن ورقاء الصيداوي الاسدي أغار على بني عبدالله بن غطفان واستاق ابل زهير وراعيه يسارًا. فنظم زهير قصيدةً طويلة[٣] ارسلها الى الحارث يطلب فيها ارجاع ابله وراعيه ويهدّده بالهجو ان لم يفعل. اما الحارث فلم يلتفت الى القصيدة.

---

١) اطلب تفصيل هذه الحكاية ، مع بعض اختلاف في رواية البيتين ، في الاغاني كما تقدم ؛ والسيوطي: المزهر ، بولاق ، ١٢٨٢ هـ. ٢ : ٢٤٨ ؛ وديوان زهير (في مجموعة ابن الورد: ص ١٩٠ و١٩١) ؛ وديوان النابغة (في مجموعة ابن الورد: ص ١٧٣) ؛ وفي طبعة Derenbourg ، ص ٤٦ و٤٧) — و René Basset, *op. cit.*, p. 20-24 — ولا يخفى ان امثال هذه المساجلات كثيرة بين الشعراء الاقدمين. واكثرها منحول يُدفع الرواة الى وضعه في سبيل اجازة بعض الاشطر او تقوية التأثير في فكاهة ادبية ، كما تقدّم لنا ذكره في درسنا لامرئ القيس ، في الروائع ٧ [امرؤ القيس] ، الطبعة الثانية ، ص : يط.

٢) الاغاني ١٥ : ١٤٨

٣) ديوان زهير (مجموعة ابن الورد) ، ص ٨٦ — ٨٧

فهجاه زهير هجاء مراً[1] . فقال له ابنه كعب : « اوسعتهم سباً وأودوا بالابل .» فارسلها مثلاً ، والمعنى : ان ليس من هجائك كثير ضرر عند انفسهم ، وقد أودوا بابلك واضروا بك[2] . على ان كعباً اخطأ في حكمه ذاك . اذ لم تبلغ الابيات الهجائية الحارث بن ورقاء حتى اخذ يساراً ، غلام زهير ، فكساه وردّه اليه[3] . فما كان من زهير الا ان مدحه بابيات[4] .

كعب وزيد الخيل

ومن الحوادث التي جرت لكعب ، في شبابه ، على ما نرى ، حادثته مع زيد الخيل بشأن الكميت ، فرس كعب ، وقد كثر فيها التحريف والزيادة . فجاء في بعض الروايات[5] ان زيد الخيل أسر كعباً والحطيئة في غارة لبني عامر على بني نبهان . اما الحطيئة فمدح زيد الخيل فاطلقه[6] . واما كعب فافتدى نفسه بفرسه الكميت . وجاء في غيرها ، كالتي تناقلها الاصبهاني[7] ، والقالي[8] ، والسيوطي[9] ، والبغدادي[10] ، شرح اوفى للحادثة .

---

١) ديوان زهير ، ص ٨٣ — ٨٤

٢) الميداني : الكتاب المذكور ٢ : ٢٢٢

٣) ديوان زهير ، ص ٢١٨

٤) ديوان زهير ، ص ٨٣

٥) الاغاني ١٦ : ٥٥ — ٥٦

٦) الروائع ٢٩ [الحطيئة] ٣٠

٧) الاغاني ١٦ : ٥٧

٨) ابو علي القالي : ذيل الامالي (طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦) ص ٢٢ — ٢٤

٩) السيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ هـ ، ١٦٥ — ١٦٦

١٠) البغدادي : الكتاب المذكور ٤ : ١٥٠ — ١٥١

فرأينا ان نأخــذه ، لما يُفيد عن علاقة كعب بابيه ، وبامرأته ، وبقومها من بني غطفان ، ولما يُظهر من ان كعباً كان اسنّ من اخيه بُجير كـما قدّمنا ، وقد استندنا في الرواية خاصة الى ابي حاتم عن ابي عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء ، قال[1] :

« خرج بُجير بن زهير بن ابي سُلمى في غِلمة يجتنون جَنَى الارض . فانطلق الغِلمة وتركوا ابن زهــير . فمرّ به زيد الخيل الطائي فأخذه ، ودارُ طي متاخمة لدور بني عبد الله بن غطفان ، فسأل الغلامَ : « من انتَ ؟ » قال : « انا بُجير بن زهير . » فحمله على ناقة ، وارسل به الى ابيه . فلما اتى الغلام اباه اخبره ان زيدًا اخذه ثم خلّاه وحمله . وكان لكعب بن زهــير فرس من جياد خيل العرب . وكان كعب جسيماً . وكان زيد الخيل من اعظم الناس واجسمهم ، وكان لا يركب دابة الا اصابت ابهامه الارض . فقال زهــير : « ما ادري ما اثيب به زيدًا الا فرس كعب . » فارسل به اليه ، وكعب غائب . فلما جاء كعب سأل عن الفرس ، فقيل له : « قد ارسل به ابوك الى زيد . » فقال كعب لابيه : « كأنك اردت ان تقوّي زيدًا على قتال غطَفان . » فقال له زهير : « هذه ابلي فخذ منها عن فرسك ما شئت . » وكان بين بني زهير وبــين بني ملقط الطائيين إخاء . . . فقال كعب شعرًا يريد ان يلقي بين بني مِلقَط وبين رهط زيد الخيل شرًا . فعرف زهير حين سمع الشعر ما اراد به ، وعرف ذلك زيد الخيل وبنو مِلقط . فأرسلت اليه بنو مِلقط بفرس نحو فرسه . »

يظهر من ذلك ان كعباً كان ذا شخصية معروفــة اذ ذاك ، وان

---

١) القالي : الكتاب المذكور ، ص ٢٣-٢٤

تصرُّف ابيــه أثّر فيه. فعمد الى طريقة ينال بها غايته على غير مباشرة. ولكنه لم يُفلح كثيرًا في محاولته. فقد لامه ابوه على قوله وكاد ينتصر لزيد الخيل[1]. اما هذا فاجابه بما يُسكت، مظهرًا كل احترامه لزهــير، قائلًا في ختام ردّه:

فلولا زهير أن أُكدّر نعمةً لقادعتُ كعبًا ما بقيت وما بقى. (١

واجتنب بنو مِلقط الشرّ بان عوّضوا عليه بفرس يقابل فرسه كما مرّ.

وقد تدخّلت في الحادثة امرأة كعب، وكانت من غطفان، لهـا شرف وحسب. فقالت: « امــا استحييت من ابيك لشرفه وسنّه ان تؤنّبه[2] في هِبته عن أخيك ». على ان هذه العاطفة من المرأة لم تكن خالصة، او لم يوهــا كعب خالصة، بدليل ما تزيده رواية ابي عمرو من انه كان قــد نزل بكعب قبل ذلك ضِيفان فنحر لهم بَكرًا كان لامرأته، فقال لها، اذ لامته: « ما تلومينني الا لمكان بكرك الذي نحرتُ لضيوفي. فلك به بكران. »

اما ابيات كعب في الحادثة المذكورة فقد نشرناها في المنتخبات مع شيء من جواب زيد الخيل[3].

حرب الأوس والخزرج

ومما يجب ان يُذكر لكعب، قبل الاسلام، تلك الابيــات التي اوردناها له في رثاء جُوَيّ المُزني، المقتول اثناء حرب الاوس والخزرج، حوالي السنة ٦١٥ او ٦١٧. وقد اشترك فيها بعض القبائل من حلفاء

---

١) اطلب المنتخبات، ص ٢١

٢) تؤنّبه: اي تصغّره وتحقّره.

٣) اطلب المنتخبات، ص ١٩–٢١

القومين(١) . فكان من مريدي الاوس مُزينة قبيلة كعب . وكان من الخزرج ثابت بن المنذر ابو حسان الشاعر ، وقد عُرف بحملاته الهجائية القوية على بني مزينة . فلما مرَّ بجُوَيّ وهو جريح قال : « يا اخا مزينة ، ما طرحك في هـذا المطرح ؟ فوالله انك من قوم ما يحمونك . » فرفع جُوَيّ رأسه اليه ، وهو يجود بنفسه ، فقال : « اعطي الله عهدًا ليَقتلنَّ منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا اعرج . » فقال كعب في ذلك ابياته المعروفة(٢) .

وفي ديوان كعب ابيات غير المتقدمة ، تشير على قول الشارح ، الى مقتل رجل اثناء الحرب المذكورة . على اننا لم نعرف الابيات الا بترجمة قسم منها الى الفرنسوية(٣) ، لان الديوان لم يطبع بعد ، ولم نقف عليها في غيره من الكتب . وليس في الترجمة ما يفيد شيئاً عن تلك الحادثة .

كعب والاسلام

موقفه من الدين الجديد — اسلام اخيه

مما لا شك فيه ان كعباً وقومه سمعوا بالنبي قبل السنة السابعة للهجرة الموافقة للسنة ٦٢٨ ؛ حتى اذا ضخم امره واخذت دعوته بالانتشار ، رغب كعب في ان يعرف شيئاً واضحاً عن ذلك . وهنا يختلف الرواة في تعليل هذه الرغبة ، فمنهم من يؤمن ان زهيرًا كان قد « رأى في منامه آتياً اتاه

١) اطلب في ذكر هذه المعارك الاغاني ١٥ : ١٦٢–١٦٥ ؛ و A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'histoire des Arabes*, Paris, 1847, II, 677-686 ؛ و Caetani, *op. cit.*, I, 298

٢) ابو تمام : كتاب الحماسة، شرح التبريزي، (طبعة Freytag) ، ص ٤٤٣ ؛ واطلب المنتخبات ، ص١٦–١٨

٣) اطلب ذلك في René Basset, *op. cit.*, p. 35-36

فحمله الى السماء حتى كاد يمسّها بيده. ثم تركه، فهوى الى الارض. فلما احتُضر قصّ رؤياه على وُلده وقـال: «لا اشكّ انه كائن من خبر السماء بعدي شيء. فان كان فتمسـكوا به وسارعوا اليه.»[1] ومنهم من لم يمهّدوا للامر بالعلّة البعيدة والوصيّة الدينية، فاكتفوا بذكر الحادث مشيرين الى ان كعباً واخاه خرجا في غنمهما يوماً. فبلغا ماء لبني أسد، بين حومانة الدرّاج وبطن النخل، يدعى أبرق العَزّاف، لما كان يُسمع فيه من عزف الجنّ، على رأي ياقوت[2]. وكان الحديث قد جرّهما، دون شك، الى ذكر النبي الجديد ومـا قام به من حركة دينيّة. ولا غرابة، فقد كانت تلك الحركة حديث الاعراب اذ ذاك، في مـكة والمدينة وما بينهما. فمن موافق، ومن مجاهد، ومن معاكس، ومن متحفّظ منتظر. فقال كعب لاخيه: «الحق الرجل، وانا مقيم ههنا، فانظر ما يقول لك.»[3] فسار بُجير الى النبي،

---

١) الاغاني ١٥ : ١٤٩—١٥٠ ؛ البغدادي : الكتاب المذكور ١ : ٣٧٧ ؛ عبدالله بن هشام : شرح قصيـدة «بانت سُعاد»، بولاق، ص ٢—٤ ؛ واطلب الروائع ٢٥ [زهير] ب.

٢) ياقوت : معجم البلدان (طبعة Wüstenfeld) ١ : ٨٤ — وقـد تحرّف هذا الاسم كثيرًا، فبدا تارةً ابرق العرّاف، وطورًا ابرق الغراف (الاغاني ١٥ : ١٤٩)، وحينًا ابرق العراق (عبدالله بن هشام : الكتاب المذكور ص٢)... اما ابن حجر فيكتفي بالاسم الاول «أبرق».

٣) الاغاني ١٥ : ١٤٩ ؛ وفي الاصابة لابن حجر (٥ : ٣٠٢)، وشرح «بانت سُعاد» لابن هشام (ص ٢)، وشرح «بانت سُعاد» للتبريزي (طبعة Krenkow) في *Z. D. M. G.* LXV [1911] p. 249، ان المقترح كان بُجيرًا فقال لاخيه: «اثبت انت في الغنم حتى آتي هـذا الرجل فاسمع خبره واعرف ما عنـده». والروايتان عن عبد الرحمن بن كعب.

وسمع منه ، فاعجبه الدين الجديد ، فاسلم[1] . وكان ذلك قُبيل السنة السابعة للهجرة على الارجح . لانه حضر وقعة خيبر[2] ، وقد كان المسير اليها في شهر محرّم من السنة السابعة[3] (ايار — حزيران ٦٢٨) .

هذا هو المشهور في اسلام بُجير . على ان هناك رواية تذكر انه اتى محمدًا ، اول ظهور الاسلام ، فاسلم ثم رجع الى بلاد قومه . فلما هاجر النبي لحقه الى المدينة[4] . ولكن الضعف يكتنف هذه الرواية لاسباب منها ان بُجيرًا لو كان قد التحق بالنبي الى المدينة آن الهجرة ، لحضر يوم بدر ، والحال ان لا ذكر له في تلك الوقعة . ولعل الخطأ ورد من شبه في الاسم بين بجير صاحبنا وبجير بن ابي بجير[5] . وقد شهد بجير بن زهير فتح مكة ، ويوم حُنَين ، وغزوة الطائف في السنة الثامنة ، وله في تلك المعارك ابيات ذكرها ابن هشام ، صاحب السيرة[6] .

هجاؤه الاسلام

اما كعب فلما بلغه اسلام اخيه غضب عليه ، وعلى الدين الجديد .

---

١) هذا في اكثر كتب الادب والتاريخ . اما ابن هشام فلا يذكر في السيرة شيئًا من هذه المقدمات ، بل يبدأ حادثة كعب بانصراف النبي عن الطائف وبكتابة بجير الى اخيه (ص ٨٨٧) .

٢) الاغاني ١٥ : ١٥٠

٣) ابن هشام : السيرة ، ص ٧٥٥ ؛ واطلب في ذلك Caetani, *op. cit.*, II, 33-8 — وعليه يجب اصلاح ما ورد في الروائع (٢٥ [زهير] ج) فقد جاء ان بجيرًا أسلم في اواخر السنة السابعة ، والصواب : اواخر السنة السادسة .

٤) الاغاني ١٥ : ١٥٠ .

٥) اطلب René Basset, *op. cit.*, p. 38, note 1

٦) ابن هشام : ك . م . ، ص ٨٣١ و٨٥٧ و٨٧٦

فأخذ يهجو المسلمين ونبيهم هجوًا شديدًا مؤلمًا لم يصلنا منه شيء يُذكر، لان المسلمين عملوا على اتلاف اكثر ما قاله الشعراء في هجو نبيّهم ودينهم. الا انه يمكن الحكم على مبلغ هذا الشعر من الايلام واللذع بما نعرف من ان النبي تأثر منه كل التأثر حتى انه اهدر دم قائله وقال: « من لقي منكم كعباً فليقتله.»[1]

وكان كعب قد ارسل الى اخيه، في ما يزعم الرواة، خمسة ابيات يؤنبه فيها على اسلامه، فيقول:

ألا ابلغا عني بجيرًا رسالةً :	فهل لك فيما قلت، ويحك، هل لكا
فبيّنْ لنا، ان كنت لستَ بفاعلٍ،	على ايّ شيءٍ، غير ذلك، دلّكا (٢
على خُلُقٍ لم ألفِ يوماً ابًا له	عليه، وما تلفي عليه ابًا لكا.
فان انت لم تفعل، فلستُ بآسفٍ،	ولا قائلٍ، إمّا عثرتَ، لعًا لكا. (٣
سقاك ابو بكر بكأسٍ رويّةٍ،	فأنهلك المأمور منها، وعلّكا. (٤

١) الاغاني ١٥: ١٤٩ — التبريزي: الكتاب المذكور، ص 250

٢) لم يرد البيت، على هذه الصورة، الا في السيرة عن ابن اسحق، وهي اقدم الروايات. اما الابيات الباقية ففيها اختلاف وتصحيف باختلاف الروايات.

٣) إما عثرت: اذا ما عثرت. لعًا لك: دعاء يُقال للعاثر تُرجى به السلامة.

٤) اخذنا هذا البيت عن ابن حجر (الاصابة ٥: ٣٠٢). وقد اراد « بالمأمور » من يفعل فعله تلبيةً لامر كائن غير منظور او لا بشري. وهو ان أُريد به المدح كان بمعنى الموحى اليه، وان اريد به الهجاء كان بمعنى من به مسّ، وهذا ما قصده كعب، وما كانت تقصده قريش اذ كانت تسمّي النبي « مامورًا » على قول ابن هشام (السيرة، ص ٨٨٨)، و« شاعرًا » و« كاهنًا » و« مجنونًا ». وكلها مفردات ذات معانٍ متقاربة لما تتضمن من معنى الصلة بالجنّ وما اشبه من الكائنات غير المنظورة. يشهد بذلك سياق الحديث، وغضب النبي، وتملّص كعب من لفظة « المأمور » وابداله بها لفظة « المأمون » كما سيأتي، وهي التي تُذكر عادة في كتب الادب والتاريخ بنسبة هذه الحادثة (راجع ابن هشام:

فما كان من بجير الا ان اطلع النبي على الابيات. فازداد غضبه على كعب. واجاب بجير اخاه بابيات اربعة تناقلتها كتب الادب عن «السيرة»، ولا بأس بايرادها، على ما يشتمّ فيها من رائحة النحل، قال:

من مبلغٌ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً، وهي أحزمُ!
الى الله، لا العُزّى ولا اللات، وحده فتنجو، اذا كان النجاءُ، وتسلمُ
لدى يوم لا ينجو، وليس بمفلتٍ من الناس الا طاهر القلب مُسلمُ
فدين زهير، وهو لا شيء دينه، ودين ابي سُلمى علّيَّ محرَّم.

على ان الابيات لم تفد شيئاً، على ما يظهر، فظلّ كعب ينظم في هجو المسلمين، حتى قويت شوكة الاسلام، وادرك بجير فوزهم في مكة، وحنين، والطائف، وتحقق ان النبي لا يهدّد عبثاً اذ شاهد من قتلهم من رجال مكة «ممن كان يهجوه ويؤذيه.»[1] وأثر فيه خاصة ان النبي كان قد اوعد ابن خطل بما اوعد به كعباً فلما ادركه قتله[2]، وقتل ابن ضبابة كذلك[3]، فكتب الى اخيه يقول: «ان رسول الله (صلعم) قد اهدر دمك، وانه قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه. وان من بقي من شعراء قريش كابن الزِبَعري وهبيرة بن ابي وهيب قد هربوا في كل وجه. وما احسبك ناجياً. فان كان لك في نفسك حاجة فصر اليه فانه يقبل من اتاه تائباً ولا يطالبه بما تقدّم الاسلام[4]. وان انت لم تفعل فانجُ الى نجائك

السيرة، ص ٨٨٧ – ٨٨٨؛ الاغاني ١٥ : ١٤٩؛ شرح عبدالله بن هشام، ص ٤؛ شرح التبريزي، ص 250)

١) ابن هشام : السيرة، ص ٨٨٧
٢) ابن حجر : ك. م. ٥ : ٣٠٢
٣) ابن رشيق : العمدة (طبعة النعساني) مصر، ١٩٠٧، ص ٧
٤) عبدالله بن هشام : ك. م، ص ٤

من الارض.»[١]

فحاول كعب ان ينجو، والتجأ الى مُزينة لتجيره على محمد، فأبت عليه ذلك[٢]. وكثر الوشاة المتوعدون، وأخذ يتبرأ منه «كل خليل كان يأمله.»[٣] حتى اذا «ضاقت به الارض»، اعدّ قصيدته المشهورة في مدح النبي، واتكل على «ما قدّر الرحمن»[٤]، واتى المدينة، فنزل متخفياً على رجل من جهينة كان له به سابق معرفة[٥]. وجعل يرقب ان يصل الى النبي قبل ان يعرفه احد فينفّذ فيه الحكم المشؤوم. الى ان دلّه صديقه على المسجد. قال كعب في الرواية التي نقلها ابن حجر: «فعرفت رسول الله (صلعم) بالصفة. فتخطّيت حتى جلست اليه فاسلمت، ثم قلت: «الامان، يا رسول الله، انا كعب بن زهير.» قال: «انت الذي تقول — والتفت الى ابي بكر فقال: كيف قال؟ فذكر الابيات الثلاثة — فلما قال: فأنهلك المأمور... » قلت: «يا رسول الله، ما هكذا قلت، وانما قلت: المأمون» قال: «مأمون، والله.»[٦]

وهناك رواية اخرى تجعل الوسيط بين النبي وكعب ابا بكر[٧].

---

١) ابن هشام: السيرة، ص ٨٨٧ – وفي أكثر كتب الادب المذكورة، مع شيء من الاختلاف.

٢) عبدالله بن هشام: ك. م، ص ٤

٣) اطلب اللامية: البيت ٣٤ و٣٥، ص ٨ من المنتخبات

٤) اطلب اللامية: البيت ٣٦، ص ٩ من المنتخبات.

٥) ابن هشام: السيرة ٨٨٩، وعنها اخذ اكثر الذين ذكروا الحادثة.

٦) ابن حجر: ك. م. ٥: ٣٠٢

٧) ابن قتيبة: ك. م. ٦٧ – ٦٨، وقد ذكرها ايضاً ابن حجر (٥: ٣٠٢) في حديث رفعه الى سعيد بن المسيَّب.

وروايةٌ ثالثـة تزعم ان ابا بكر تملّص من كعب قائلاً انه « يكره ان يجير على رسول الله » ، وكذلك كان موقف عمر . فلم ينفع الشاعر الا عليّ بن ابي طالب ، فخلّصه[1] . ولا تخفى النزعة الشيعية في تنسيق هذه الحادثة . وهناك ايضاً رواية رابعة تفيد ان كعباً سأل النبي ، وهو ملثم ، والنبي لا يعرفه بشخصه ، فقال : « يا رسول الله ، ارأيت ان اتيتك بكعب ابن زهير مسلماً اتؤمنه ؟ » قال : « نعم » . قال : فانا كعب بن زهير . »[2] الى غير ذلك مما تصرَّف به اصحاب الاحاديث . ومن الغريب ان احداً منهم لا يذكر بجيراً وموقفه اثناء وفود اخيه . وهم يجمعون تقريباً على ان الانصار تجهَّموا ، اذ عرفوا كعباً ، وتواثبوا يريدون قتله ، صائحين : « يا رسول الله ايذن لنا فيه »[3] ، متظاهرين بالغيرة على النبي ومصلحته حتى ان احدهم صاح : « يارسول الله ، دعني وعدوَّ الله اضربْ عُنُقه . »[4] وقد لا تكون هذه الغيرة تامة الاخلاص ، بل قد يكون في نياتهم ان ينتقموا من الشاعر لما اصابهم من اهاجيه القديمة وحملاته على اهل يثرب من الخزرج . ويجب ان نتذكر في هذا الامر تلك المناظرة الشديدة التي كانت بين فئتي الاوس والخزرج ، وان كعباً كان من حلفاء الاوس ، كما رأينا[5] . الا ان النبي منع عنه وقال : « وكيف وقد اتاني مسلماً ! » ولم تكن هذه الحادثة لتزحض صدر كعب على الانصار ، فعرَّض بهم في

---

١) القرشي : جمهرة اشعار العرب (طبعة عمون) ، مصر ١٣٠٨ه . ، ص ١٣

٢) الاغاني ١٥ : ١٥٠ – وعبدالله بن هشام : ك.م. ٥

٣) الاغاني ١٥ : ١٥٠ ، وابن قتيبة : ك . م . ٦٨ ، وسائر المصادر .

٤) ابن هشام : السيرة ، ص ٨٨٩ ، وغيرها من المصادر .

٥) راجع ما تقدّم ، ص : ي

قصيدته كما سنرى. حتى اذا انتهى من انشادها قال له النبي: «الا ذكرت الانصار بخير؟ فان الانصار لذلك اهل.»[1] وقال المهاجرون: «ما مدحنا من هجا الانصار»[2]. فنظم كعب في الانصار القصيدة الرائية التي ذكرنا شيئاً منها في المنتخبات[3].

قصة البُردة

اما اللامية فسندرسها مطوَّلاً بعيد هذا. ونكتفي الان بالقول ان كعباً انشدها النبي في مسجد المدينة في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م)، كما يُستنتج من السيرة. الا ان صاحبي السيرة، ابن اسحق وابن هشام، لا يشيران في شيء الى حادثة البردة التي يذكر المؤرخون ان النبي خلعها على كعب، فورَ سماعه القصيدة. وهي حادثة مهمة من مآتي النبي. فكان على كاتبَي «سيرة» النبي ان يذكراها لو عرفاها، وكان عليهما ان يعرفاها لو كانت مشهورة في عصرهما... اوَ هل يدفعنا هذا الإغفال الى شيء من التحفّظ حيال قصة «البُردة»؟... ومهما يكن من امر فان المؤرخين لم يلهجوا بهذه القصة الا في القرن التاسع اي بعد وفاة النبي بنحو مائتي سنة. فاخذوا يتناقلون بعضهم عن بعض ان لامية كعب راقت النبي واستفزّته حتى انه خلع بردته فالقاها على كتفي كعب[4]. واشتهر ذلك حتى اصبحت «البردة» علَماً للامية فقيل «قصيدة البُردة» او «البردة» فقط.

اما البردة فكساء من صوف استعمله العرب قبل الاسلام وبعده،

١) ابن هشام: السيرة، ص ٨٩٢، ونقلها عنه الكثيرون.
٢) الاغاني ١٥: ١٥٠
٣) اطلب المنتخبات، ص ١٤
٤) جميع المصادر التي ذكرناها، ما عدا سيرة الرسول.

يلبسونه في النهار كالرداء ، ويلتفون به في الليـــل كالغطاء ، ويغلب ان يـكون مخططاً يضرب لونه الى الغبرة ؛ ويـكون على حواشيه شيء من الزخرف المنسوج[١]. وقد اهتمّ المؤرخون بمصير البردة التي كساها النبي كعباً ، على قولهم ، فأكد بعضهم ان معاوية بـــذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال : «ما كنت لاوثر بثوب رسول الله (صلعم) احداً .» فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفاً فاخذها منهم[٢]. وزعم غـــيرهم ان معاوية اشتراها من كعب نفسه[٣]. واشاروا جميهم الى انها ظلّت في ورثة معاوية يلبسها الخلفاء في الاعياد ، منتقلةً من الامويين الى العباسيين ، على قول ابن الاثـــير الذي اشار اليها باقيةً في زمانه اي حول السنة ٦٠٠ للهجرة[٤] (١٢٠٣م). وزاد ابو الفداء[٥] وغيره انها بقيت حتى غزو التتار ، فاحرقها هولاكو ، او اغرقها في دجلة سنة ٦٥٦ هـ. (١٢٥٨). ولـكن من المؤرخـــين من لا يرضى بان تضمحلّ البردة الحقيقية ، فيزعمون ان التي أحرقت لم تـكن بردة كعب الاصلية ، بل بردة شبيهة بها. امـــا الحقيقية فقد حُفظت ونُقلت الى مصر ، حتى غزو العثمانيين فانتقلت الى الاستانة

---

١) اطلب في ذلك A. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 59-64

٢) عبدالله ابن هشام : ك. م. ص ٥ ، واطلب ما ورد من ذلك في ابن الاثير : الكامل ٢ : ٢١١ ؛ وابن حجر : ك. م. ٥ : ٣٠٢ ؛ و Basset, *op. cit.*, p. 50 — والى هذه الحادثة استند من جعلوا وفاة كعب في خلافة معاوية وعيّنوا له السنة ٦٦٢ ؛ وقد تقدّم لنا كلام في هذا الاستنتاج ، فليُراجع (ص : ب).

٣) ابن قتيبة : ك. م. ص ٦٠

٤) ابن الاثير : ك. م. ص ٢٠٩–٢١١

٥) ابو الفداء : تاريخه ١ : ١٧٠

وحفظها السلاطـين باسم « الخرقة الشريفة »... [1] « والله اعلم بحقيقة الحال » ، على قول البغدادي في كلامه عن البردة نفسها[2].

بيـد ان البردة لم تكن جائزة كعب الوحيدة. بل زاده النبي مائةً من الابل ، وهو امرٌ قلما أشير اليه في كتب التاريخ والادب ، ما خـلا العمدة[3]. وقد ألمح الى ذلك الاحوص في مدحه عمر بن عبد العزيز ، قال:

وقبلك مـا اعطى هُنيدةَ جِلّةً على الشعر كعباً من سَديسٍ وبازلِ
رسولُ الالـه المستضاء بنوره عليه سلامٌ بالضحى والاصائلِ [4]

بعد الاسلام

منافسات شعرية

حفظت لنا كتب الادب صدى تلك المشاحنات التي كان يقترن فيها الشعر بالمنافسات الحزبيـة بين الاوس واحلافهم والخزرج واحلافهم . فرأينا شعراء الفريقين يتقاذفون الاهاجي قبل الاسلام ، بينا كان ابطال

---

١) اطلب Caussin de Perceval, *op. cit.*, III, 282 – وتجد جميع مصادر البردة في Le Strange [J. R. A. S. 1900, p. 292-300] وخصوصاً في Basset, *op. cit.*, p. 50-51 و Basset, *Burda* [Encyclop. de l'Islam I, 814].
ومن المفكّه في ذلك ان بعض مؤرخي الادب في عصرنا رأوا ، في ذكر البردة ، جملة وردت في شرح ابن هشام يقول فيها ان البردة باقية « عند السلاطين الى اليـوم » اي الى زمانه هو ، فنقلوها بحرفها غير منتبهين الى الفرق بين « يومه » و « يومهم »...

٢) البغدادي : ك. م. ٤ : ١٢

٣) ابن رشيق : الكتاب المذكور ، ص ٧

٤) ابن قتيبة : ك. م. ص ٢٢١ – واطلب ايضاً ابن رشيق : ك. م. ٧ ؛ وابن عبد ربه : العقد الفريد ١ : ١٥٤ ؛ والاغاني ٨ : ١٥٢

القومين يتقاذفون الحجارة ، ويتضاربون بالسَعَف والخشب[1] . وقد ظلّت هذه المنافسات زمناً طويلًا بعد الاسلام حتى كوّنت ، في ما خصّ الادب ، مذاهب وطرقاً لها روساؤها ومريدوها . فكان لنا مذهب أَوس بن حجر وراويته زهير بن ابي سلمى وابناء زهير والحطيئة من جهة ، ومذهب حسّان بن ثابت والشمّاخ بن ضرار والمزرّد اخيه والمخبّل من جهة أُخرى . وقد تميّزت هذه المذاهب ، فضلًا عن اخذها خاصةً بمدح قوم الشاعر ومفاخرة الحزب المنافس ، بظاهر ادبية تكاد تكون بارزة ، وبمزايا شعرية توشك ان تكون فارقة ، مما سنحاول درسه في ما بعد .

كلها معلومات تمهّد لنا فهم ما يُروى عن الحطيئة من انه اتى كعباً فقال له : « قد علمتَ روايتي لكم ، اهلَ البيت ، وانقطاعي اليكم . وقد ذهب الفحول غيري وغيرك . فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك . فانالناس لاشعاركم اروى واليها اسرع ! »[2]

فقال كعب قصيدةً طويلةً تبلغ ٥٢ بيتاً في ديوانه[3] ، الّا ان المشهور منها اربعة ابيات تذكرها كتب الادب بأسرها في كلامها على كعب ، وقد نشرناها في المنتخبات[4] . وما كادت تذيع القصيدة حتى ردّ عليها المزرّد بن ضِرار ، فشتم كعباً والحطيئة وحقّرهما وجعل نفسه بمقامها ، «وان

---

١) الاغاني ٢ : ١٦٣

٢) الاغاني ٢ : ٤٧

٣) اطلب René Basset, *op. cit.*, p. 54

٤) اطلب المنتخبات ، ص ٢٤

كان افتى منها » ، ثم فضّل حسّاناً ، واخاه الشمّاخ ، والمخبّل[1] .

ومن ردّ على كعب الكميت بن زيد ، صاحب الهاشميات ، فقال متهكماً :

وما ضرّها ان كعباً ثوى وفوّز من بعده جرولُ ! (٢

ولكعب غير ما تقدم من الشعر يردّ به على المزرّد والشمّاخ وغيرهما من المنافسين ، يساعده الحطيئة احياناً ، حتى يمكن القول ان المهاجاة كانت متواصلة بين الفريقين ، كما يظهر من مرويات كتاب الاغاني[3] . اما حادثة الابيات الاخيرة فقد جرت ، دون شكّ ، بعد اسلام كعب لما يُرى فيها من تلميحه الى شيبه حيناً ، والى وفاة ابيه حيناً آخر . فضلاً عن ان لهجة الحطيئة تفيد ان كعباً كان في طليعة شيوخ الشعر اذ ذاك .

هذا كل ما نعرف تقريباً عن مآتي الشاعر ، بعد الاسلام[4] . اما زمن وفاته فقد سبق الكلام عنه في التوطئة .

---

١) اطلب المنتخبات ، ص ٢٥

٢) لسان العرب ١٨ : ١٢٧ ، وابن قتيبة ك . م . ٦٧

٣) الاغاني ٨ : ١٠٢

٤) راجع ابن عبد البرّ : ك . م . ١ : ٢٢٦ ، وهو يذكر انه لا يعلم لكعب « في صحبته وروايته » الّا خبر وفوده على الرسول .

آثاره

الديوان

ليس من شعر كعب، في كتب الادب المتداولة، ما يتناسب وشهرته الواسعة. فاذا استثنينا «بانت سعاد» لم نجد له الا المقطّعات القصيرة او الابيات المفردة. ولعلّ هذا ما اثّر في المعاصرين من مؤرخي الادب فلم يهتمّ احدٌ منهم بشعر كعب، في ما خلا «البردة»، وكأنهم لم يعلموا ان له ديواناً خاصاً. بيد ان ابن عبد البرّ النمري نقل ان كعباً «كثير الشعر»[1]. وذكر له حاجي خلفا[2] ديواناً اشار البغدادي[3] الى ان ابا العباس الاحول شرحه. اما هـذا الديوان فلم يُنشر بعد، على ما نعلم، بل اننا لا نعرف له الا نسخة وحيدة في اوربة كان المستشرق كرنكو(Krenkow) قـد اهتمَّ بدرسها وباعدادها للطبع سنة ١٩١٠[4]. ثم حالت موانع دون تنفيذ مشروعه على ما يظهر. ولكننا لم نعدم معرفة ما في الديوان، وان لم نتمكن من درسه. فان المستشرق رينه باسّيه اطلع عليه، بفضل امين مكتبة الجمعية الشرقيـة الالمانية، فدرسه واستعان به في تدوين حيـاة كعب، ناشراً الشواهد بالفرنسوية، لا بالعربية لئلا يسبق نشرة

١) ابن عبد البرّ: ك. م. ١: ٢٢٦

٢) حاجي خلفا: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (طبعة Flügel) ليبسيك ١٨٣٥ – لندن ١٨٤٣، المجلد ٣: ٢٠٢-٢٠٤، الرقم ٥٦٢٢

٣) البغدادي: ك. م. ٤: ١٤٨

٤) اطلب René Basset, *op. cit.*, p. 6

كرنكو التي كانت على وشك الطبع. فظهر من بحث باسيه ان في الديوان ثلاثين قطعة لكعب، بين قصيدة ومقطوعة، تدور كلها حول المواضيع العربية التقليدية من فخر وتهديد، ومدح وهجاء، وغزل ورثاء، واشارات الى الحوادث البدوية المعتادة. وقد شرحها ثعلب، بعد ان شرح ديوان زهير في المخطوطة نفسها. وكان باسيه في استخدامه ابيات الديوان يترجمها الى الفرنسوية، ويشير الى ورود بعض ابياتها في كتب الادب والتاريخ واللغة. فاستفدنا من اشاراته ورجعنا نفتش تلك الكتب حتى تمكنا من جمع طائفة لا بأس بها من اقوال كعب رأينا ان نذكرها في المنتخبات بعد « بانت سُعاد »، وهذه اشهر قصائده بل اساس شهرته كما لا يخفى.

بانت سعاد

تقسيمها

قصيدة لامية من البحر البسيط ذات ٥٨ بيتاً، انشدها كعب في مدح النبي والاعتذار اليه، وقد تقدم لنا كلام وافٍ في ذلك. وقد سار فيها على الطريقة الجاهلية القديمة كما يظهر من التقسيم :

١ً — بدأ بالغزل فذكر سُعاد ووصفها، واشار الى اخلافها بالوعد (الابيات ١ — ١٣)

٢ً — تخلَّص الى وصف الناقة (١٣ — ٣٤)

٣ً — تخلَّص الى ذكر النبي ووصف حالته هو من الاضطراب (٣٤ — ٣٨)

٤ً — اعتذر الى النبي ومدحه (٣٨ — ٥١)

٥ً — تخلَّص الى مدح المهاجرين من قُريش (٥١ — ٥٨)

شهرتها : شروحها ومعارضاتها

لا نغالي اذا قلنا ان ليس من قصيدة عربية نالت ما نالته قصيدة

كعب من اهتمام النحويين واللغويين والمستشرقين ايضاً . ولا غرابة في ذلك ، والمادح من ذوي التأثير في عصره ، والممدوح نبي الاسلام ، والقصيدة قيلت في زمن كان فيه النبي بحاجة ماسّة الى اهتداء شاعر معروف الى الاسلام وانخراطه في سلك الشعراء المدافعين عنه وكم كان يهتم بزيادة عددهم في تلك الحرب الهجائية . وما هو ان دوّنها مؤرخو النبي حتى اصبحت جزءاً من « سيرة » الرسول . ولم تلبث ان نالت حظاً من الكرامات والفضائل ايضاً ، على نحو ما روى ابو جعفر البيري الاندلسي عن بعض اساتذته عن سلسلة من رجال السند عن احد العلماء انه كان يبدأ محاضراته دائماً بانشاد « بانت سُعاد » . فقيل له في ذلك ، فقال : انه رأى النبي في ما يرى النائم فقال له : « اني أُحب قصيدة كعب وأُحب من يُحبها » فحلف الشيخ ان لا يمرّ عليه يوم الا انشد القصيدة[١] . واذاً فليس بعجيب ان يتبارى الشرّاح في التعليق عليها ، ويتنافس الشعراء والنظّام في معارضتها ، وتشطيرها ، وتخميسها ، حتى جاوزت آثارهم الخمسين .

اما المعارضات فمن اشهرها قصيدة البوصيري صاحب « البردة » ، واسمها « ذخر المعاد في معارضة بانت سُعاد » ومطلعها :

الى متى انت باللذات مشغولُ   وانت عن كل ما قدّمت مسؤولُ

واما التشطيرات والتخميسات فعديدة لا يسعنا المقام لذكرها[٢] .

واما الشروح فاقدمها شرح ثعلب (+٩٠٥) مع شرح سائر الديوان ،

---

١) المقّري : (الطبعة الفرنسوية ١ : ٩٢٣) ذكرها Basset, *op. cit.* p. 66

٢) ليراجع اشهرها من اراد في René Basset, *op. cit.*, p. 67-69

كما قدمنا ، وهو الذي استند اليه باسيه ، استنادَه ايضاً الى شرح ابن يَلّبَخت (+ ١٢١١) . يُذكر بعد ذلك شرح ابن دريد († ٩٣٣) . ثم شرح التبريزي الشهير (+ ١١٠٩) ، شارح المعلّقات وحماسة ابي تمام ، وقد نشره المستشرق كرنكو كما سيأتي . ومن الشروح المعروفة شرح جمال الدين ابي محمد عبدالله بن هشام († ١٣٦٠) وهو مطبوع مرّات ، وشرح ابراهيم الباجوري († ١٨٦٠) المطبوع مرّات ايضاً ، الى غير ذلك من الشروح التي يطول بنا تعدادها .

طبعاتها — ترجماتها

لبانت سُعاد نحو العشرين طبعة في الشرق والغرب ، منها على حدة ، ومنها في مجاميع ادبية . وقد يطول بنا الكلام اذا تعرّضنا لذكرها كلها ، فنكتفي باهمها . كان المستشرقون السابقين الى طبعها فنشرها اولاً ليتّه سنة ١٧٤٨ في مدينة ليدن ، مع ترجمة باللاتينية ، ومقدّمة ، وشرح[1] . ومما يُذكر من الطبعات الاوربية طبعة فريتاگ في هال سنة ١٨٢٣ ، مع ترجمة لاتينية ومقدمة وشرح[2] . ثم طبعة گويدي مع شرح ابن هشام في ليبسيك سنة ١٨٧١[3] . وطبعة نولدكه في برلين سنة ١٨٩٠ مع بعض

---

1) Gerardus Joannes Lette, *Caabi ben Zohaïr Carmen panegyricum in laudem Muhammedis*. Lugduni Batavorum, 1748.
وقد طبع معها معلّقة امرئ القيس وبعض المنتخبات الحكمية .

2) G. W. Freytag, *Caabi ben-Sohair Carmen in laudem Muhammedis dictum*. Halae, 1823. ومعها قصيدة المتنبي في ابن العميد، وابيات لاشجع السلمي

3) I. Guidi, *Ǵemâleddin Ibn Hiśâmi commentarius in carmen Ka'bi ben Zohair Bânat Su'âd appellatum*. Lipsiae, 1871.

الحواشي[١]. ثم طبعة رو مع ترجمة فرنسوية، ومنتخبات من شرح الباجوري في قُسَنطينة وباريس سنة ١٩٠٤[٢]. وطبعة كرنكو مع شرح التبريزي وتعاليق بالالمانية في ليبسيك سنة ١٩١١[٣]. ولعل اجمع هذه الطبعات طبعة رينه باسّيه المتقدّم ذكرها والتي نشرها في الجزائر سنة ١٩١٠ وجمع فيها بين شرح ثعلب وشرح ابن يَالَبْخت، ذاكرًا جميع الروايات المختلفة، مقدّماً عليها بحثاً في حياة الشاعر، وترجمة فرنسوية للقصيدة[٤]. وآخر طبعة اوربية للقصيدة طبعة الدكتور سكوبا - پيكوسلاوسكي مع ترجمتها الى اللغة البولونيــة، وبعض التعاليق في اختلاف الروايات، في بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣١[٥].

اما الطبعات الشرقية فاقدمها طبعة الشِرواني، في كلكتا سنة ١٢٣١ هـ. (١٨١٦) . وممّا يستحق ذكرًا من سائر الطبعات طبعة بولاق

---

١) في المجموعة: Noeldeke, *Delectus veterum carminum arabicorum.* Berlin, 1890.

٢) A. Raux, *Bânat So'âd, poème arabe de Ka'b ben Zohair, publié avec les voyelles, le commentaire d'el-Bādjoūri, un avant-propos et une traduction en Français.* Paris, 1904.

٣) Fritz Krenkow, *Tabrīzī's Kommentar zur Burda des Ka'b ibn Zuhair.* [Z. D. M. G., Leipzig, 1911, p. 241-280]

٤) René Basset, *La Bânat So'âd, poème de Ka'b ben Zobair. Publiée avec une Biographie du Poète, une Traduction, deux Commentaires inédits et des Notes.* Alger, 1910.

٥) Dr. med. Leon Skuba-Pękosławski, *Kasyda (Oda) Ka'b'a syna Zubajra i Swięty płaszcz Mahometa (Khirka-i-Szerif),* Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1931.

مع شرح ابن هشام سنة ١٢٩٠ هـ. (١٨٧٣) . وطبعات القاهرة مع شرح ابن هشام وشرح الباجوري على الهامش سنة ١٣٠٤ هـ. (١٨٨٧) وما بعدها. وطبعة ذي الفقار علي دوبندي مع شرح الباجوري وابن هشام، وترجمة هندستانية وحواش، في دهلي سنة ١٩٠٠. وطبعة القاضي محمد ظهور الدين مع ترجمة نثرية بالهندستاني وترجمة شعرية بالپنجابي، في لاهور سنة ١٩٠٣. الى غير ذلك من الطبعات العديدة في بيروت، والقاهرة وبومباي، وجونپور، وحيدر اباد وغيرها.

وقد نُشرت « بانت سُعاد » في جمهرة اشعار العرب لابي زيد القُرشي، وهو يعدّها من «المشوبات» (طبعة عمون) مصر، ١٣٠٨هـ. ص ١٤٨—١٥١

ولها ترجمات الى لغات عديدة تقدّم لنا ذكر شيء منها مع الطبعات. وعدا ذلك فان لها ترجمتين المانيّتين احداهما نثرية لويل في ترجمة سيرة محمد لابن هشام[١]، والثانية شعرية لروكرت[٢]؛ وترجمة انكليزية لردهوس في مجموعة كلوستون[٣]؛ وترجمة ايطالية لـگبريالي[٤]؛ وترجمات فارسية منها واحدة للكاملي منشورة مع شرح لعبد الحافظ محمد نظير في لكنئو سنة ١٨٧٥؛ وترجمة تركية لملجق زاده في احدى مكاتب قسطنطينة[٥].

---

١) Weil, *Das Leben Mohammeds*, Stuttgart, 1864, t. II, p. 254-257

٢) Rückert, *Hamasa*, Stuttgart, 1846, t. I, p. 152-157

٣) J. W. Redhouse, *The « Burda », the Poem of the Mantle... Translated, with preface and notes*, [Clouston, *Arabian Poetry for English readers*, Glasgow, 1881, p. 305-318]

٤) G. Gabrieli, *Al-Burdatân ovvero i due Poemi arabi del Mantello in lode di Maometto*, Firenze, 1901.

٥) اطلب R. Basset, *op. cit.*, p. 82

شاعريته

كان لكعب من اسرته تراثٌ شعري ثمين ، وكان له من ابيه مثقف بصير حكيم ، وكان له من احوال بيئته ومنافسات احزاب زمانه دوافع متتابعة للتمرين المستمرّ . فسمع الشعر ، ورواه ، وتذوّقه ، ونظمه في مختلف الفنون ، فاشتهر به حتى قال خلف الاحمر : « لولا ابيات لزهير اكبرها الناس لقلت ان كعباً اشعر منه . »[1]

ولكن لا نؤخذنَّ بهوس خلف ، وقد عوّدنا مثل هذه الاحكام الجازمة ، ولندرس عن كثب شاعرية كعب ، وحظّها من الابتكار ، وتأثير كل من عناصرها ، فنرى ان الواقع يدفعنا الى شيء من التحفظ والاحتياط تجاه هذا الحكم .

لو استثنينا بعض المواد التي استخدمها الشاعر في الاعتذار الى النبي ، لما وجدنا في اللامية شيئاً من الطرافة يستحق الذكر . فالاستهلال بالغزل اسلوب مطروق في العصر الجاهلي ، « والسُعادات » كثيرات ، « وبينُهنَّ » معروف متداول بين الشعراء من النابغة الذبياني[2] ، الى الاعشى الاكبر[3] ، الى ربيعة بن مقروم[4] ، الى غيرهم ممن سبق كعباً وعاصره[5] . والتشكّي من

١) ابن قتيبة : ك . م . ٥٨

٢) ديوانه (مجموعة ابن الورد) ص ٢٥ ، وما يشبهه من « نأي سُعاد » ، ص ١٧٦ ؛ والسيوطي : شرح شواهد المغني ، مصر ١٣٢٢ هـ . (١٩٠٤) ص ١٨٠

٣) الاغاني ١٦ : ١٩ ؛ والسيوطي : الكتاب المذكور ، ص ١٨٠

٤) السيوطي : ك . م . ص ١٨٠

٥) وقد عملت شهرة لامية كعب على زيادة القصائد المبتدئة « بانت سُعاد » حتى ان حمّادًا الرواية انشد الوليد سبعمائة منها ، على ما جاء في الاغاني (٥ : ١٧٢)

الفراق ، فذكر الاخلاف بالمواعيد ، فالتخلص الى وصف الناقة متداولٌ كذلك حتى الابتذال .

على ان مدح النبي نفسه لا يخلو من التقليد . فان الشاعر ، بعد ان يتخلّص الى ذكر محمد على اسلوب لا بأس بطبعيته واخلاصه اذ يصوّر موقفه المضطرب من الوشاة ، وتمنع اصحابه عن اجارته ، يعود الى التأثر بغيره فيبدأ اعتذاره على اسلوب النابغة في اعتذاره الى النعمان . ولا يكاد يصل الى المدح فيذكر هيبة النبي ، حتى يترك الممدوح ، ويندفع متوسّماً في شجاعة الأسد الذي شبّهه به ، وقوّة بطشه ، وشدّة وطأته في واديه . . . الى ان يختم بمدح المهاجرين مدحاً اعتيادياً لا يتعدّى ذكر الشجاعة والاقدام . واكثر هذا من الموادّ الشعرية الجاهزة ، اذا صحّ التعبير . حتى ان النبي نفسه لم يبدِ اهتماماً بالقسم الاكبر من القصيدة ، فاحتمل صامتاً خمسين بيتاً اكثرها لا يمسّ الموضوع في شيء ، الى ان بلغ الشاعر مدح « الرسول وعصبته » ، فنظر النبي الى من عنده من قريش « كأنه يومئ اليهم ان يسمعوا » كما يقول ابن قتيبة[1] . كأن كل ما تقدم لم يكن ليستحق السماع ! أوَ ليس من الغريب ان يؤلف شاعر ككعب ، في حالته تلك من اليأس والاضطراب ، قصيدة في مدح شخص كالنبي مخيّر في حياته ومماته ، فيخصّ ثلثيها بوصف محبوبته ، وناقته ، والتخلّص الى الممدوح ، حتى اذا وصل اليه ، لم يتجاوز في مدحه ذكر الهيبة ، والشجاعة ، والهدى ، ثم انتقل بمدح قوم محمد من المهاجرين . فيكون ما نال النبي من الثانية والخمسين بيتاً ثلاثة عشر فقط منها خمسة في الاسد ، بينا نرى

---

١) ابن قتيبة : ك . م . ٦٨

سعاد تختص باستهلال يبلغ اثني عشر بيتاً ، والناقة تتمتع بوصف دقيق يتجاوز العشرين .

كل هذا لان الشاعر سار على الاساليب المدحي المقرّر في الجاهلية ، فلم يكلّف نفسه على الغالب عناء الابتكار والتفنن — الا في امور اخذها من محيطه القريب فاتت لطيفة جميلة كوصف قلقه واضطرابه[1] — نقول ذلك لا في الافكار العامة فحسب، بل في ما تفرّع عنها وفي ما اخذ به لشرحها من الافكار الثنوية والصور التشبيهية . فهو لا يتراجع ، امام النبي ، عن استعمال الخمر في تشبيهه ، ولا يُهمل ان يذكر الغول في كثرة التلوّن ، وان ينسب الدروع لداود ، وان يشبّه الابطال « بالجمال الزُهر» ، والنبي «بالاسد الخادر ». ويكاد لا يتجاوز، في وصف الناقة ، ما نعرفه من اكتناز اللحم وملاسته حتى ليزلق عنه القراد ، وقوة المرفقين وبعدهما عن الزور ، وصلابة القوائم . اما تلك الصورة الاخيرة ، التي يشبّه فيها ذراعي الناقة ، في سرعة حركتها ، بذراعي امرأة ثاكل تضرب صدرها وتندب، فان المطالع يخالها طريفة ، على غرابتها ، لاول وهلة، حتى اذا طالع الشعر المعاصر ضعفت طرافتها نوعاً . وكذلك القول عمّا يظهر من السذاجة البدوية الطبيعية في استعماله الفيل للتهويل والتعظيم .

ونكاد نرى الرأي نفسه في غير اللامية مما امكننا الاطلاع عليه من شعر كعب . فان مدحه للانصار[2] تقليدي محض بارزٌ فيه التكلّف .

---

١) اطلب المنتخبات ، ص ٨–١٠

٢) المنتخبات ، ص ١٤

ورثاءه لأبي[1] «من اجفى شعر العرب» ، على قول المبرّد. واكثر ما تبقّى جامد العاطفة ، صلب ، حتى ليمكننا القول ان اضعف العناصر الشعرية في كعب كان الشعور. فلا غزل رقيق، ولا رثاء فاجع ، ولا تهكّم لاذع ، ولا فخر عاطفي ، ولا شكوى اسيفة ، ولا رهبة مؤلمة في التعبير عن قلقه واضطرابه تجاه وعيد النبي ، وهو اخلص قسم في قصيدته. يتحقق ذلك من يقابل قوله هذا باقوال النابغة في موقفه الاعتذاري من النعمان. فبينا يُظهر النابغة كل ما يمدّه به شعوره الرقيق من بوادر الحزن العميق المقرون بالقلق المضطرب الى الاخلاص الشديد[2] ترى كعباً يكاد لا يفسح لشعوره المجال حتى يختم عليه بالحكمة ، فيسكن الى ان « كل ما قدّر الرحمن مفعولُ. »

ولا يضير حكمنا هذا بضعف الشعور ما يتناقل الرواة عن ميل كعب الشديد الى الشعر منذ نعومة اظفاره. اذ لا غرابة في هذا الميل ، والغلام يرى نفسه في اسرة شاعرة. فكان من الطبيعي ان يتأثر بتلك البيئة ، وان يميل الى النظم ، كما يميل ابن الجرّاح الى التشريح وابن المصوّر الى تنسيق الخطوط مثلاً ، دون ان يفرض ذلك في الناظم الحدث شعوراً قوياً ، او عبقرية بارزة.

على ان من الحقّ ان نحتاط بعض الشيء في هذا الحكم ، منتبهين لمواقف قليلة كان يتأثر بها كعب تأثراً عميقاً فيتألم او يتحمس ، فينظم فوراً ، دون ان يجتهد في « صنع » الشعر ، فيأتي قوله على شيء من

---

١) المنتخبات ، ص ١٨

٢) اطلب درسنا للنابغة في الروائع ٣٠ : يط

الفطرة اوفى منه في شعره العادي. نتحقق ذلك في بعض المنافسات الحزبية ثم في ابيات كان يشكو بها دهره او شيبه مما يراه المطالع في آخر المنتخبات. بيد انه، حتى في هــذه الموضوعات الجديرة بالعاطفة، تظلّ على شعره مسحة من التعقّل والرزانة تميل به الى نوع الحكم.

انما شعره، في اكثره، تصوير، وتصوير دقيق يسمو الى درجة عالية من الصناعــة بل من الفنّ احياناً. ولا عجب! فهو ابن زهير وتلميذه، واحد افراد ذاك المذهب التصويري المــادي الذي بدأ بأوس بن حجر، زوج ام زهــير، وبلغ اوجَه مع زهير والنابغة، وكان من ممثليه شاعرنا كعب والحطيئة كما قدّمنا. وليس من حاجة بهذا المذهب الى كثير من الشعور الرقيق السيال، وان كان الشعور يمــدّه رونقاً وتشخيصاً وحياةً تزيد في قيمته. انما حاجته خاصة الى الصبر في تتبّع الموصوفات، واختيار موادّ التشبيهات، والى التعقل في التنسيق والتأليف، « وتنخّل » التعابير، « وتثقيف » القوافي؛ والى قوّة الخيال ايضاً. وقد كان كعب على حظٍ من الخيال لا بأس به، وان لم يصل غالباً الى الابداع. وكان كذلك على قسطٍ وافر من التعقّل والصبر في « صنع » الشعر حتى انه فاخر « بتنخّله » للقوافي «وتثقيفه» اياها[1] كما انه فاخر باقتفائه اثر ابيه في قصائــده، اذ (يقول) شبيهات بما قال، عالمًا بهنّ، ومن يشبه اباه فما ظلم!

والحق يُقــال انه سار على هذا الاسلوب مستفيداً من ابيه، ومن أوس، ومن النابغة، فترك لنا اوصافاً دقيقة جدًا على كثيرٍ من التفنن في تقصّي صفات المشبّه به بعد ترك المشبّه، كوصف الماء في اول «مشوبته»، وكثرة التدقيق في وصف الناقة، ووصف الحَرّ في تلك الجملة الاعتراضية

---

١) المنتخبات، ص ٣٤

الجميلة[1] ، وتتبّع وصف المرأة الشكلي بعيــد ذلك ، وتلك الاستدارة التشبيهية التامّــة في وصف الاسد . يعبّر عنها بتعابير « متنخّلة » ، والفاظ تصويرية منتقاة ، قد يرى فيها البعض شيئاً من الضخامة الجاهلية ، فينسبون الشاعر الى الولع بالغريب في وصف النــاقة والاسد وما اشبه ، ويرون انه يأخــذ باللفظ الرقيق اللّين اذا ما ترك هذه الموضوعات وعرض للتعبير عن الشعائر النفسية . والحقيقة ان ليس للشاعر اسلوبان محدّدان يأخذ باحدهما في التعبير عن شيء ، وبالآخر في التعبير عن غيره . انما هو يجري على طريقة واحدة من المفردات والتعابير . الا انه يعبّر حيناً عن موضوعات تمسّ بيئته الخــارجية من رمال متراكمة وتكاوين ارضية لكل مشهد منها نعت خاصّ ، ومن حيوان متنوّع لكل مظهر من مظاهره بــل لكل عضو من اعضائه اسم بعينه ، ومن مرافق حيوية خاصة بعصره وعادات مميّزة لشعبه ؛ وحيناً يعبّر عن عواطفه النفسية المشتركة بين جميع الناس . فيكون ان المظاهر الاولى تتباين وتختلف باختلاف الازمنة والامكنة حتى لا نألف في عصرنا شيئاً من مألوفات الجاهليين مثلاً ، وتظلّ المظاهر الثانية على ما هي ، اذ ان مصدرها النفس البشرية وهي واحدة تحت كل كوكب . وبالتالي تصبح التعبيرات عن الموضوعات الخارجية غريبةً بالنسبة الينا بل وحشية ضخمة ، وتبقى الاخرى لطيفة رقيقة مقبولة . هذا ، على ما نرى ، هو سرّ الاختلاف بين الاسلوبين المزعومين . واذاً فليس من حاجة الى «التعمق في الدرس» ، فالاستنتاج ان كعباً كان في وصفه للناقة والاسد يحتــذي اوس بن حجر ، وفي تعبيره عن شعائر نفسه يسير على اسلوب

---

[1] المنتخبات : الابيات ٢٨–٣١

ابيه . . . والحق انه سار على اسلوب ابيه ، وهو في الاصل اسلوب أَوس.

وان يكن من اثر واضح لاسلوب زهير ، في ما خلا تلك الاوصاف التي اشرنا اليها ، فهو في الميـــل الدائم الى الحِكم والاعتبارات العامة . ولا يحتاج المطالع الى كثير من التدقيق ليتحقق رغبة كعب في الكلام الجامع ، وارسال المثـــل ، حتى لا تخلو له مقطوعة من محاولة ذلك . فمن « إنَّ الامانيَّ والاحلامَ تضليلُ » ، الى « فكل ما قدّر الرحمن مفعولُ » ، الى « كلّ ابن انثى . . . » الى « وأَقربُ باحلام النساءِ الى الردى » ، حِكم تامة تذكرنا بزهير ، « ومن يُشبه اباه فما ظلم ! »[1] .

وقد تتخذ الحكمة شكل النصيحة كما في « ردّه على احد الجهّال » .[2] وهذا غير غريب عن زهير ايضاً . وقد يرفعه النفَس الشعري ، على طريق الحِكم ، الى درجـــة سامية من التحقُّق المؤلم فيلقي نظرةً بصيرةً شاملة يصل فيها الى فحص اعماق النفس البشرية فيقيس اتعابها ومشاقّها بالنسبة الى القدَر واحكامه ، ويعود ، وعلى شفتيه ابتسامة تتنازعها الشفقة والهزء ، فيقول :

لو كنت اعجب من شيءٍ لاعجبني ... سعيُ الفتى ، وهو مخبوءٌ له القدرُ ؛
يسعى الفتى لامورٍ ليس يُدركها ؛ ... والنفسُ واحدةٌ ، والهم منتشِرُ ؛
والمرءُ ، ما عاش ، ممدودٌ له املٌ : ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الاثرُ ؛[3]

هـــذا كعب بن زهير ، على قدر ما امكننا درسه من خلال شعره المنشور ، وهذا قليل بالنسبة الى ما تبقى في ديوانه المخطوط . وهو يظهر ، على الجملة ، شاعر صناعة وثقافة ، لا شاعر طبع وفطرة . وقد يكون ابن

---

١) المنتخبات ، ص ٢ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢

٢) المنتخبات ، ص ٢٥   ٣) المنتخبات ، ص ٢٥

سلام على صواب اذ جعله في الطبقة الثانية[1]. ولكنه قدّمه على الحطيئة، وحقّه ان يؤخر في نظرنا. ومهما يكن من امر فان الشاعرَين من المذهب الزهيري المعروف، مذهب «عبيد الشعر»، على قول الاصمعي، اي مذهب الذين «نقّحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.»[2]

مآخذ

راجع اجمالاً ما ذكرناه في مآخذ الشعر الجاهلي (الروائع ٢: ٤٣) وما ذكرناه في طبعات «بانت سعاد» وشروحها (الصفحات: كو، كز، كح) وخصوصاً ما يلي:

ابن هشام: سيرة الرسول (طبعة Wüstenfeld) گوتنگن ١٨٥٩ — ١٨٦٠

ابو زيد القرشي: جمهرة اشعار العرب (طبعة عمون) مصر ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠)

ابن قتيبة: الشعر والشعراء (طبعة de Gœje) ليدن ١٩٠٢

ابو الفرج الاصبهاني: كتاب الاغاني، بولاق ١٨٦٨، خصوصاً الجزء ١٥

عبد القادر البغدادي: خزانة الادب، بولاق، الجزء ٤

ابن حجر العسقلاني: الاصابة في تمييز الصحابة (طبعة الخانجي) مصر، ١٩٠٧ الجزء ٥

ابن عبد البرّ النمري: كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب، حيدر اباد ١٣١٨ هـ (١٩٠٠) الجزء ١

جمال الدين عبدالله بن هشام: شرح قصيدة بانت سعاد، بولاق، ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣)

René Basset, *La Bânat Soʿâd, Poème de Kaʿb ben Zohaïr. Publiée avec une Biographie du Poète, une Traduction, deux commentaires inédits et des Notes*. Alger, 1910.

Fritz Krenkow, *Tabrīzī's Kommentar zur Burda des Kaʿb ibn Zuhair*, [Z. D. M. G., Leipzig, 1911, *p*. 241-280]

A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes*, Paris, 1847, t. II.

---

١) محمد بن سلام: الكتاب المذكور، ص ١٩ — ٢١

٢) ابن قتيبة: ك. م. ٦١

بانت سُعاد

الغزل: وصف سُعاد

١ بانت سُعادُ ، فقلبي اليوم متبولُ ،
مُتيَّمٌ إثرها ، لم يُفدَ ، مكبولُ.[١]

وما سُعادُ ، غداةَ البينِ ، اذ رحلوا ،
الا اغنُّ ، غضيضُ الطرفِ ، مكحولُ.[٢]

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ ، اذا ابتسمت ،
كأنه مُنهلٌ بالراحِ ، معلولُ ؛[٣]

شُجَّت بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنيةٍ ،
صافٍ بأبطحَ ، اضحى وهو مشمولُ ،[٤]

---

١) بانت : فارقت ، ومنه البين ، في البيت الثاني . متبول : من التبل : الهيام حتى السقم والضعف . مُتَيَّم : مذلَّل ، ذلَّله الحب . مكبول : مقيَّد.

٢) أغنّ : صفة لمحذوف تقديره الظبي او الغزال : الذي في صوته غُنَّة اي نبرة مستحبَّة تجعل الصوت خارجاً من اللهاة والانف . غضيض الطرف : يتابع صفة الظبي : فاتر النظر ، منكسر الاجفان . مكحول : اشارة الى سواد اعين الغزلان .

٣) تجلو : من جلا السيف : ازال عنه الصدأ ؛ تكشف . العوارض : ما بعد الانياب من الاسنان . الظَلْم : ماء الاسنان . كأنه : الضمير للظَلْم . مُنْهل : مسقي مرة اولى ، من النهل : اول شربة . والعلل : الشربة الثانية . الراح : الخمرة .

٤) شُجَّت : مُزجت ، الضمير للخمرة . ذو شَبَم : بارد ، الشَبَم : البرودة . المَحْنِية : منعطف الوادي : الابطح : المسيل المتسع . مشمول : ضربته ريح الشمال . هذا والبيت الذي يليه في صفة الماء .

٥ تنفي الرياحُ القـذى عنه ؛ وافرطه
من صوب ساريةٍ بيضٌ يعاليـلُ .[1]
أكرِمْ بها خُلّـةً ، لو انها صدقت
موعودَها ، او لو أنّ النصحَ مقبولُ ![2]
لكنها خُلّةٌ قـد سِيط من دمها
فَجْعٌ ، وولعٌ ، وإخلافٌ ، وتبديلُ ؛[3]
فمـا تدوم على حالٍ تكون بها ؛
كـما تلوّنُ في اثوابها الغـولُ ؛[4]

---

١) تنفي : وفي رواية : تجلو . القذى : كل ما يقع في الماء فيكدّره من تبنة وغيرها . أفرطه : ملأه ، زاده حتى فاض ؛ او افرطه : تركه . الصوب : المطر . السارية : السحابة التي تسري فتمطر بالليل . بيضٌ : اراد بها السحائب البيضاء ، وقيل بل الجبال البيض . اليعاليل : ج . يعلول : السحابة الطويلة ، الغدير . وقيل : يعاليل : مرة بعد مرة . – اتى بكل هذه الدقة اتماماً لوصف الماء ، الذي مُزجت بهِ الخمرة ، التي يخال الانسان سُعاد قد شربت منها مرّات ، اذا رأى بياض اسنانها عند الابتسام .

٢) بها : الضمير لسُعاد . الخُلّة : الصديق للذكر والانثى ، والمراد بها هنا الانثى . موعودها : وفي العقد الفريد : في وعدها ؛ وفي الديوان : ما وعدت .

٣) سِيط : خُلط . الفجع : الاصابة بما يُكره . الولـع : الكذب . الاخلاف : عدم القيام بالوعد .

٤) على حال تكون بها : في ابن قتيبة : على العهد الذي زعمت . تلوّن : تتلوّن . الغول : كل ما اغتال الانسان فاهلكه . ثم حيوان خرافي موءنّث كان العرب ينسبونـه الى الجنّ ويعتقدون انـه يعترض المسافرين في الليل ويستهويهم . ويزعمون انه يتلوّن الواناً كثيرة . من ذلك قول العباس بن مرداس :
اصابت القومَ غول جـلّ قومهم   وسط البيوت ، ولون الغول الوانُ .
– يشبّه كعب تقلّب سُعاد في احوالها ومواعيدها بتلوّن الغول .

ولا تمَسّك بالعهـد الذي زعمت
الا كـما يُمسك الماءَ الغرابيلُ. [1]

١٠ فلا يغرَّنْكَ ما منّت وما وعدت ؛
ان الامـانيَّ والاحلامَ تضليـلُ ! [2]

كانت مواعيـد عُرقوبٍ لها مثلًا ؛
ومـا مواعيده الا الاباطيـلُ ! [3]

ارجـو وآمل ان تدنو مودّتها ؛
ومـا إخال لدينا منكِ تنويلُ ! [4]

التخلّص الى وصف الناقة

امست سُعادُ بأرضٍ لا يبلّغها
الّا العتاقُ ، النجيباتُ ، المراسيلُ ؛ [5]

ولن يبلّغها الا عُـذافِرَةٌ
فيها ، على الأين، إرقالٌ، وتبغيلُ ، [6]

---

١) تُمَسِّك : بمعنى تمسك . ويجوز تَمَسَّك : تتمسّك .

٢) منّت : جعلتك تتمنّى .

٣) عرقوب : رجل يضرب المثل باخلافه الوعد . مواعيده : وفي بعض الروايات : مواعيدها .

٤) التنويل : العطاء . وفي البيت التفات من السرد الى الخطاب .

٥) العتاق : صفة لمحذوف تقديره النوق . والعتاق : الكريمة الحسنة التي عتقت من العيوب : نجت منها . النجيبات : الكريمة ، القوية . المراسيل : جـ. المرسال : الرسلة ، السهلة اليـدين في السير . — المعنى : لا يبلغني ارض سُعاد الّا مثل هذه النياق .

٦) العُذافِرة : الصلبة ، القوية . الأين : التعب ، الإعياء . الإرقال : نوع من السير سريع . التبغيل : نوع من السير ايضاً يشبه سير البغال .

١٥ من كل نضّاخة الذِفرى، اذا عَرِقت،
عُرضَتُها طامسُ الاعلامِ مجهولُ ، (١)
ترمي الغيوبَ بعينَي مُفرَدٍ ، لَهِقٍ ،
اذا توقّدت الحِزّانُ والمِيلُ ، (٢)
ضخمٌ مقلّدُها ، فَعمٌ مقيّدُها ،
في خَلقها عن بنات الفحلِ تفضيلُ ، (٣)
غلباءُ ، وجناءُ ، عُلكومٌ ، مذكَّرةٌ ،
في دفّها سعةٌ ، قدّامها مِيلُ ، (٤)

---

١) نضّاخة : مبالغة من النضخ : السيلان فوق النضح . الذِفرى : ما تحت اذن الناقة مما يلي الرقبة ، وهو اول ما يعرق اذا جرت الناقة . عُرضتها : من قولهم : بعير عُرضة للسفر : اي اهتمامه ومصيره ومقدرته . الطامس : المندرس ، المختفي . الاعلام : جـ . العلم : العلامة ، الاشارة على الطريق – اي مقدرة هذه الناقة وهمتها ان تسير في الاماكن المجهولة المساكن .

٢) الغيوب : جـ . الغيب : كل ما غاب عن العين . مفرد : صفة محذوف تقديره الثور الوحشي . لهِق : شديد البياض . الحزّان : جـ . الحزيز : الغليظ من الارض . المِيل : جـ . اميل وميلاء : ما تراكم ومال من الرمل . اذا توقدت . . . : اذا اشتدت الحرارة .

٣) المقلّد : موضع القلادة ، الرقبة . فعم : واسع . المقيّد : موضع القيد ، الرسغ . بنات الفحل : النوق – قال الاصمعي في الصفة الاولى : « هذا خطأ من الصفة لأنه قال : هي غليظة الرقبة ، وخير النجائب ما يدقّ مذبحه ويعرض منخره . »

٤) لم يرد هذا البيت في الديوان . غلباء : غليظة الرقبة . وجناء : عظيمة الوجنتين . عُلكوم : ضخمة ، عظيمة . مذكّرة : تشبه الذكر . الدفّ : الجنب . قدامها مِيلُ : اي طويلة العنق .

وجلدهــا من أطومٍ ، لا يُؤَيِّسُهُ
طِلحٌ ، بضاحيةِ المَتْنَيْنِ ، مهزولُ .[١]

٢٠ حرفٌ اخوها ابوها من مُهجَّنةٍ ،
وعمّها خالها ، قوداء ، شِمليلُ ؛[٢]

يمشي القُــرادُ عليها ، ثم يُزلقــه
منها لَبانٌ ، وأقرابٌ زهاليلُ ؛[٣]

عَيْرَانةٌ قُذفت بالنحض ، عن عرَضٍ ؛
مِرفقها عن بنات الزّور ، مفتولُ ؛[٤]

كأنما فاتَ عينيها ومــذبحَها
من خَطمها ومن اللحيين ، بِرطيلُ ؛[٥]

---

١) لم يرد هذا البيت في الديوان . الأَطوم : قيل انها سلحفاة بحريــة . وقيل انها سمكة غليظة الجلد ، وقيل بل هي الزرافة . لا يؤيِّسه : لا يؤثّر فيه . الطِلح : القُراد وسيأتي شرحه . ضاحية المتنين : ما برز للشمس من ظهرها . مهزول : نعت الطلح . — وصف جلدهــا بالقوة والملاسة والاكتناز حتى ان القُراد المهزول من الجوع لا يؤثر فيه ، بل يزلق عنه كما سيأتي في البيت ٢١ .

٢) الحرف : الناقة الضامرة . مهجّنة : ابل كريمــة . قوداء : طويلة العنق . شِمليل : خفيفــة . — ورد البيت في ديوان اوس بن حجر منسوبــاً اليه ، على اختلاف في القافية فجاءت « مِشْير » بدل « شمليل . »

٣) القُراد : دويبّة تتعلّق بالبعير وغيره وهي كالقمل للانسان ، الواحدة قُرادة . اللَبان : الصدر . الاقراب : ج . القُرب : الخاصرة . الزهاليل : ج . الزهلول : الاملس . — يصفها بالسموّ والملاسة .

٤) عَيرانة : صلبة تشبه العَير : حمار الوحش . النَحض : اللحم . العرَض : الجهة ، الجنب . المَرفِق والمِرفَق : موصل الذراع في العضد . بنات الزور : الاضلع المتقدمة من الزور : الصدر .

٥) فات : اي تقدم . الخَطم : مقدَّم الانف . البرطيل : الحجر الطويل ، الحديدة

تُمِرُّ مثلَ عَسيبِ النخلِ ذا خصلٍ
في غارزٍ لم تخوّنه الاحاليلُ .[١]

٢٥ قنواء ، في حُرّتيها ، للبصير بها ،
عتقٌ مبينٌ ، وفي الخدّين تسهيلُ ؛[٢]

تَخدي على يَسَراتٍ ، وهي لاحقةٌ ،
ذوابلٍ ، مسُّهنّ الارض تحليلُ ،[٣]

سُمرِ العجايات يتركن الحصى زِيَماً ،
لم يقِهِنّ رؤوسَ الأكمِ تنعيلُ ؛[٤]

كأنَّ أوبَ ذراعيها — اذا عرقت ،
وقد تلفّعَ بالقُور العساقيلُ ،[٥]

الطويلة ، وهو فاعل فات . — يصفها بصلابة عظم الوجه ، وكبر الرأس .

١) تمرّ : وفي بعض الروايات : تمدّ . عسيب النخل : الجريدة منه ؛ شبّه بها ذنب الناقة . ذا خصل : صفة الذنب المحذوف . الغارز : الضرع . لم تخوّنه : لم تنقصه . الاحاليل : ج . الإحليل : مخرج اللبن من الثدي — المعنى : انها لم تنتج فتحلب فيضر ذلك بقوتها . قال ابو سعيد : « خطأ ان توصف بعظم الذنب وكثرة الهلب . وافضل ما يكون منها للركوب ان تكون قصيرة الذنب . »

٢) قنواء : مؤنث اقنى ؛ اي في انفها حدب . الحُرّة : الاذن .

٣) تخدي : تسير . اليَسَرات : القوائم الخفاف . لاحقة : ضامرة . ذوابل : يابسة ، ليّنة . تحليل : قليل .

٤) العجايات : عصب قوائم الابل والخيل . الزِيَم : المتفرّق . الأكم : ج . أكمة : المرتفع ، الجبل الصغير . —اي انها ناقة صلبة القوائم تفرّق الحصى ولا تحتاج الى نعل ليقيها الخشونة في رؤوس الاكم اذا سارت عليها . وكان العرب يشدّون تحت خفاف الابل السريح ، وهي قطعة من جلد ، لتقيها الحجارة .

٥) الأوب : رجع يديها وسرعة حركتها . وسيأتي خبر كأنّ في البيت

يوماً يظلُّ به الحرباءُ مُصطخداً
كأنَّ ضاحِيَهُ بالشمس مملولُ ، [1]

٣٠ وقال للقوم حاديهم ، وقد جعلت
ورقُ الجنادبِ يركضنَ الحصى : «قيلوا» [2]

شدَّ النهارِ ــ ذراعا عَيطلٍ نَصَفٍ ،
قامت ، فجاوبها نُكدٌ مثاكيلُ ، [3]

---

٢٩ بعد ان ينتهي من وصف شدَّة الحر . اذا عرقت : اي في الهاجرة . تلفّع : التحف . القور : ج . القارة : الجبل المرتفع طولاً لا عرضاً ، كل موضع مرتفع . العساقيل : ج . العسقول : السراب ، وقال الاصمعي : لا مفرد له . وفي التركيب قلبٌ اصله : تلفّع القور بالعساقيل .

١) يوماً : مفعول فيه من تلفّع . الحرباء : الدويبة المعروفة وهي تتطلّب الشمس فتستقبلها وتدور معها ، والحِرباء مذكّر مؤنثه حِرباءة . مصطخداً : محترقاً ، من صخدته الشمس : احرقته ، واصابت دماغه . ضاحيه : ظاهره . مملول : موضوع في الملّة وهي الرماد الحار . — يتابع وصف الحر الشديد حتى ان الحِرباء الذي يرغب عادةً في الشمس لبرودته الفطرية ، يمسي وكأنه قد شوي بالنار من شدَّة وقع الشمس عليه .

٢) الوُرق : ج . اورق وورقاء : الاغبر ، الاخضر الى السواد ، الرمادي . يركضن : يضربن بقوائمهنَّ . قيلوا : استريحوا في القائلة : منتصف النهار .

٣) شدَّ النهار : مفعول فيه : اي ذلك وقت ارتفاع النهار . ذراعا عيطل : خبر كأنَّ في البيت ٢٨ ، وهو المشبّه به ، اي كأنَّ أوب ذراعيها ، في هذه الحالة التي تقدَّم وصفها من شدَّة الحرّ ، ذراعا عيطل . العيطل : المرأة الطويلة . النَصَف : المتوسطة في العمر ، بين الشابة والكهلة . قامت : اخذت بالبكاء والنواح . نكد : ج . نكداء : التي لا يعيش لها ولد . مثاكيل : ج . مثكال : مبالغة من الثكل : فقد الولد — شبّه ذراعي الناقة ، في سرعة حركتها ، بذراعي امرأة طويلة متوسطة في العمر فقدت ولدها (كما سيأتي) فاخذت تنوح وتعول وتحرّك

نوّاحةٍ ، رِخوة الضَّبْعَين ، ليس لها ،
لمَّا نعى بِكرَها الناعون ، معقولُ ، [١]
تفري اللَّبـان بكفّيها ، ومِدرعهـا .
مشقّقٌ عن تراقيها ، رعابيلُ . [٢]

التخلص الى مدح النبي

تسعى الوشاةُ جَنابَيها ، وقولُهم :
« إنَّكَ، يا ابنَ ابي سُلمى، لمقتولُ ! » [٣]
٣٥ وقال كل خليلٍ كنت آمُله :
« لا أُلهينَّك ، اني عنك مشغولُ . » [٤]

ذراعيها بسرعة ، فيجيبها غيرها من النساء الثكالى . وقد جعلها نصَفاً لتكون اقوى على ترجيع يديها . وهو تشبيه غريب، على انه ورد في الشعر الجاهلي،من ذلك قول المثقِّب العبدي :

كأنما اوب يديها الى حيزومها ، فوق حصى الفَدفَدِ
نوح ابنة الجون على هالكٍ تندبه رافعةَ المجلدِ

١) يتابع في البيتين التاليين صفة المرأة الثكلى . الضَّبعان : العضدان ، ورِخوة الضبعين : سريعة حركة الزندين . بِكرها : اول ولدها . معقول : عقل .

٢) تفري : تشقّ . اللَّبـان : الصدر ، وهو خاصّ في الاستعمال بالحيوان . المدرع : القميص . التراقي : ج . ترقوة : اعلى عظم الصدر مما يلي الكتف . الرعابيل : ج . الرعبول : القطعة المتخرّقة الممزّقة .

٣) جَنابيها : ناحيتيها ، جهتيها ، حواليها ، والضمير للناقة ، لا لسُعاد كما وهم عبدالله ابن هشام(ك . م . ص ٨٦) . وفي رواية : بجنبيها . إنك : وفي رواية : ها انت .

٤) آمله : ارجو مساعدته . لا أُلهينّك : اي لا اشغلنّك عما انت فيه من الجزع : وفي رواية : لا أُلفينّك : اي لا اكون معك في شيء .

فقلتُ: « خلّوا سبيلي ، لا ابا لكمُ ،
فكلُّ ما قــدّر الرحمنُ مفعولُ ! [١]

كلُّ ابن انثى ، وان طالت سلامته ،
يوماً على آلةٍ حــدباءَ محمولُ ! »

اعتذار ومدح

نُبّئتُ ان رسول الله اوعــدني ؛
والعفو عنــد رسول الله مأمولُ. [٢]

مهلاً ! ـــ هداك الذي اعطاك نافلة ال
قرآن فيه مواعيظٌ ، وتفصيلُ ـــ [٣]

٤٠ لا تأخذنّي باقوال الوشاةِ ، ولم
أُذنبْ ، وان كثُرت فيَّ الاقاويلُ .

لقــد اقوم مقاماً لو يقوم بــه ،
ارى واسمع ما لو يسمعُ الفيلُ [٤]

---

١) لا ابا لكم: تعبير يستعمل في المدح والذمّ ويقوله المتفجّع والمتعجب. الا انه وضع في الاصل للذمّ وتقديره: لا ابا حرًّا لكم.

٢) اوعــد: هدّد. — وليلاحظ الشبه بين طريقة الاعتذار في هذه الابيات وطريقة النابغة في اعتذاره الى النعمان (الروائع ٣٠: ١٠ الابيات ٤٢–٤٥).

٣) ينتقل في هذا البيت من السرد الى الخطاب. النافلة والنافل: ما يزيد على الواجب. التفصيل: التبسط في الكلام. — وهداك . . . الى آخر البيت جملة اعتراضية. — وليلاحظ الفرق ، في مدح النبي ، بين هذا القول الاجمالي في الدين الجديد ، الطبيعي في عقلية كعب ، والتدقيق المصطنَع في تلك القصيدة المنسوبة الى الاعشى (الروائع ٣١ : يه)

٤) يقوم به: فاعله الفيل المحذوف يفسره الظاهر. المعنى: قمت مقاماً هائلًا لو

لظلَّ يُرعَد ، إلّا ان يكونَ له
من الرسول ، باذن الله ، تنويلُ .[١]
ما زلت اقتطع البيداء ، مدّرعاً
جنح الظلام ، وثوب الليل مسبولُ ، [٢]
حتى وضعت يميني ، لا انازعها ،
في كفَّ ذي نقماتٍ قِيلُه القيلُ .[٣]
٤٥ لَذاكَ أهيبُ عندي — اذ اكلمهُ ،
وقيل : « انك منسوبٌ ومسؤولُ » —[٤]

قامه الفيل ، فرأيتُ فيه وسمعت ما لو رآه الفيل وسمعه ، لظلَّ . . . وقد ذكر الفيل رغبة في التعظيم والتهويل لان الفيل اضخم الحيوانات جثة ، واعظمها تأثيراً في اذهان العرب لما كثر بينهم من تداول اسطورة « الفيل » . حتى ان بعضهم توهّم ان الفيّال يكون من اعظم الرجال لكون الفيل من اعظم الحيوانات ، فقال لبيد :

لو يقوم الفيل او فيّاله زلَّ عن مثل مقالي وزحل

١) التنويل : العطاء ، اراد به هنا : الامان والعفو .

٢) لم يرد هـذا البيت في الديوان ، ولا في رواية ابن يَكَلبخت ، ولا في شرح ابن هشام .

٣) وضعت يميني : يشير الى مصافحتـه النبي بالاسلام . لا انازعها : الضمير لليمين ، وفي رواية : لا انازعه ، فيكون الضمير للنبي . ذي نقمات : وفي رواية : ذي نعمات . قيله القيل : اي قوله هو الصادق الفصل . — المعنى متصل بالبيتين السابقين اي : بقيت مضطرباً في ذاك الموقف الذي تقدم وصفه حتى وضعت يدي في يد الرسول .

٤) لَذاك : اي محمد . اذ اكلمه : حالية ، وكذلك جملة : وقيل . . . وفي رواية اذ يكلمني . منسوب ومسؤول : اي سيسأل عن نسبك ويسألك عن امور . او منسوب اليك اشياء انت مسؤول عنها .

من خادرٍ من ليوث الارض ، مسكِنُهُ ،
من بطن عَثَّرَ ، غِيلٌ دونه غِيلُ ، [1]
يغدو ، فيَلْحم ضِرغامين عيشُهما
لحمٌ من القوم معفورٌ ، خراديلُ ، [2]
اذا يساور قِرناً لا يحلُّ له
ان يترك القرنَ الا وهو مجدولُ ؛ [3]
منه تظلّ سباع الجوّ ضامزةً ،
ولا تمشّى بواديه الاراجيلُ ، [4]
٥٠ ولا يزال بواديه اخو ثقةٍ
مطرَّحُ البزِّ والدُّرسانِ ، مأكولُ . [5]

١) من خادر : متعلق بأهيب . الخادر : الاسد في خدره : عرينه . الارض : وفي رواية : الاسد . عَثَّر : مكان في منطقة زبيد من اليمن ، على عشرة ايام من مكة ، تكثر فيه الاسود . الغيل : الغَيضة ، الاجمة . وغيل خبر مسكنه .

٢) يغدو : يخرج في الغداة ، اول النهار ؛ وفي رواية : يعدو . يلحم : يطعم لحماً . ضِرغامين : اسدين ، اراد بها شِبلَي الاسد المذكور . معفور : مطروح على التراب . خراديل : ج . خردلة : قطعة صغيرة ، يُقال : خردلَ اللحمَ : قطّعه .

٣) يساور : يواثب . القِرن : المقارن في بطش او علم او ما شاكل . مجدول : مطروح على الجدالة : الارض ؛ وفي رواية مفلول : مكسور ، منهزم .

٤) السباع : الحيوانات المفترسة ؛ وفي الديوان : حمير الوحش . الجو : الوادي الواسع ؛ وفي الديوان : الوحش ، كما تقدَّم . ضامزة : ساكنة ، هادئة ؛ وفي بعض الروايات : ضامرة ؛ وفي اخرى : نافرة . الاراجيل : ج . اراجل : ج . ارجلة : ج . رجيل : الراجل ، خلاف الراكب ، والمشّاء .

٥) اخو ثقة : موثوق بشجاعته ؛ وفي رواية : اخو سفر . مطرّح : مطروح ؛ وفي رواية ابن يللبخت : مضرَّج . البزّ : يريد به السلاح . الدرسان : ج . الدِرس :

التخلّص الى مدح المهاجرين من قريش

ان الرسول لسيفٌ يُستضاء به ،
مهنّدٌ ، من سيوف الله ، مسلولُ ؛ [١]

في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ،
ببطن مكةَ ، لمّا اسلموا: « زولوا ! » [٢]

زالوا ؛ فما زال انكاسٌ ولا كُشُفٌ ،
عند اللقاء ، ولا مِيلٌ معازيلُ . [٣]

شمُّ العرانينِ ، ابطالٌ ، لَبوسُهم
من نسج داودَ ، في الهيجا ، سرابيلُ ، [٤]

الثوب الخَلق البالي ، ومثله الدَّريس . مأكول : اي مأكول لحمه . — وخبر « لا يزال » محذوف تقديره مجدل او مطروح ، يتعلّق به الجار في « بواديه ».

١) لسيفٌ : وفي كثير من الروايات : لَنورٌ . يُستضاء به : اراد شدّة بريقه ، وانه سيف هدى . مهند : منسوب الى الهند ، او مصنوع على مثل السيوف الهندية ، وكانت احسن السيوف عند العرب .

٢) في عصبة : وفي بعض الروايات : في فتية . قائلهم : يُجمع الشرّاح على ان هذا القائل عمر بن الخطّاب . زولوا : امر من زال يزول: ذهب ، تحوّل . يشير الى الهجرة .

٣) أنكاس : ج . نِكس : ضعيف ، جبان . كُشُف : ج . أكشف : الذي لا ترس معه . ميل : ج . أميل : الذي لا يُحسن الفروسية ، الذي لا يثبت على السرج . معازيل : ج . مِعزال : الخالي من السلاح . — المعنى : لما قال قائلهم : « اذهبوا ، هاجِروا » هاجَروا ، وهم شجعان ، غير ضعاف ولا خالين من سلاح . . .

٤) شُمّ : ج . اشمّ وشمّاء : عالٍ ، مرتفع . العرانين : ج . العِرنين : طرف الانف . والشمم في العرنين حدّة فيه وارتفاع ، وهو كناية عن الانفة وكبر النفس . الهيجا : الهيجاء : الحرب . سرابيل : ج . سربال : قميص ، درع . من نسج داود : كان العرب ينسبون سرد الدروع الى النبي داود . ورد ذلك كثيرًا في اشعارهم قبل

٥٥ بيضٌ، سوابغُ، قد شُكَّت لها حلقٌ
كأنه حلقُ القفعاء، مجـدولُ؛ [١]

لا يفرحون اذا نالت رمـاحهم
قوماً؛ وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا؛ [٢]

يمشون. مشيَ الجمال الزُّهرِ، يعصمهم
ضربٌ، اذا عرَّدَ السودُ التنابيلُ؛ [٣]

لا يقع الطعنُ الا في نحـورهم؛
وما لهم عن حياض الموت تهليلُ. [٤]

الاسلام وبعده، واشار اليه القرآن ايضاً (السورة ٢١ [الانبياء] ٨٠) ولا نعلم مصدر ذلك. ومنهم من ينسب سرد الدروع الى سليمان بن داود.

١) سوابغ: ج. سابغة: طويلة، ضافية، فضفاضة. شُكّت . . . : ادخل بعض حلقها في بعض، وهو دلالة على احكام الصنعة، ومناعة الدرع. القفعاء: نبات ينبسط على وجه الارض، له حلق مثل الخواتم، شبه به حلق الدروع.

٢) نالت: اصابت. مجازيع: ج. مجزاع: مبالغة من الجزع: الخوف يتداخله الحزن والاضطراب او الاشفاق. — المعنى: لكثرة ما تعوّد هؤلاء القوم ان يغلبوا اعداءهم تراهم لا يفرحون اذا انتصروا عليهم. اما اذا غُلبوا فانهم لا يضطربون ولا يتضعضعون لثقتهم بالنصر المقبل.

٣) الزُهر: ج. الازهر والزهراء: الابيض، النيّر، المشرق. يعصمهم: يمنعهم. عرَّد: جبن، نكل، فرَّ. التنابيل: ج. التنبال: القصير. — يذكر بعض الشرّاح ان الشاعر عرّض، في هذا البيت، بالانصار، لما كان من تحاملهم عليه حال وفوده على النبي كما تقدّم في المقدمة (ص: يز)

٤) حياض: ج. حوض: في الاصل: مجمع الماء؛ حياض الموت: المواقف الخطرة التي تسقي الموت من يقفها. تهليل: من هلّل الرجل: جبن في حملته، هرب. — المعنى: انهم لا ينهزمون فلا يقع طعن الاعداء في ظهورهم بل في نحورهم، ولا يجبنون لدى المواقف الخطرة.

المدح

مدح الانصار

لكعب قصيدة في مدح الانصار تبلغ ثلاثين بيتاً مدحهم في ثمانيـة عشر بيتاً منها . (راجع المقدمة ، ص : يح) . وهذه ابيات من اولها :

من سرّه كرم الحياة فلا يزل ... في مِقنبٍ من صالحي الانصارِ ،[1]

٦٠ورثوا السيادة كابراً عن كابرٍ ، ... ان الخيار هم بنو الاخيارِ

النـاظرين باعينٍ محمـرةٍ ... كالجمر غـير كليلة الابصارِ ،

والذائدين النـاس عن اديانهم ... بالمشرفي وبالقنـا الخطّـارِ ،

والبـاذلين نفوسهم لنبيّهم ، ... يومَ الهياج ، وقبةِ الجبّارِ ،[2]

يتطهّرون ، كأنه نسكٌ لهم ، ... بدماء من عَلِقوا من الكفّارِ[3]

صدموا الكتيبة، يومَ بدرٍ، صدمةً ... ذلّت لوقعتها رقـاب نِزارِ .[4]

وإذا حللتَ ليمنعوك اليهـم ... اصبحتَ عند معاقل الاعفارِ .[5]

لو يعلم الاقـوام علمي كله ... فيهم، لصدّقني الذين أُماري .[6]

---

١) كرم : وفي رواية : شرف . المِقنب : ما بين الثلاثين الى الاربعين .

٢) وقبةِ الجبّار : قال ابو عمرو : الواو للقسم . وقبة الجبار : اراد بها البيت الحرام . وفي الاغاني : وسطوة الجبّار اي يوم المعـارك الشديدة التي لا يسطو فيها الّا الجبّار . وقد ورد البيت في شرح ابن هشام :

والبائعين نفوسهم لنبيّهم ... للموت يوم تعانق وكرارِ

٣) كأنه نسكٌ لهم : في الاغـاني وابن هشام : يرونه نسكاً لهم . مَن عَلِقوا : من اصابوا ٤) صدموا الكتيبة : في بعض الروايات : صدموا علياً ، اي بني علي بن مسعود من كنانة . يوم بدر : معركة كانت للمسلمين على مشركي قريش . رقاب : في بعض الروايات : جميع . ٥) الأعفار : جـ العُفُر : الرجل الشجاع الجَلد ٦) أُماري : اجادل ، انازع

الرثاء

رثاء ربيعة بن المكدّم

كانت ام كعب تمتّ الى كنانة بنسب. فلما قُتل ربيعة بن المكدّم ، فارس كنانة ، وكُسرت قبيلته ، ولم تطالب بدمائها ، قال كعب يرثي القتيل ويحضّ قومه على الاخذ بثأره. وقد ذكرت هذه القصيدة في الديوان، وفي الاغاني (١٤ : ١٣٢-١٣٣) فانتخبنا منها الابيات التالية :

بانَ الشبابُ ، وكلُّ إلفٍ بائنٌ ،
ظعنَ الشبابُ مع الخليــل الظاعنِ . [١]

قالت أُميمةُ : « ما لجسمك شاحباً ؟
وأراكَ ذا بثٍّ ، ولستَ بدائنٍ ! » [٢]

٧٠ غضّي ملامكِ ! ان بي من لومكم
داءً اظنّ مماطلي او فاتني . [٣]

ابلغ كنانةَ : غثَّها ، وسمينها ،
البــاذلين رِباعهــا بالقــاطنِ [٤]

---

١) بان : فارق. ظعن : سار

٢) البثّ : الغمّ ، الحزن. دائن : اسم فاعل من دان بمعنى استقرض اي كان عليه دين — المعنى : اراك مهموماً حزيناً، وليس عليك دين ! . . .

٣) الماطل : المسوّف. الفاتن : المضلّ عن الحق

٤) الباذلين : من بذل : اعطى ، جاد. الرِباع : ج. الرَبع : المحلّة ، المنزل. القاطن : الساكن

ان المذلّـة ان تُطَـلَّ دمــاؤكم ،
ودمــاء عوفٍ عاهن في العــاهن .[1]
اموالـكم غَرَضٌ لهــم بدمــائهم ،
ودماؤكم كَلَفٌ لهم بظعــائنِ .[2]
طلبوا ، فــادرك وترَهم مولاهم ؛
وابت محاملكم ابــاءَ الحــازنِ .[3]
٧٥ شدّوا المــآزر واثأروا باخيكم .
إنَّ الحفــائظَ نِعمَ رمح الشــامنِ ![4]

رثاء جُويّ

كان جُوَيٌّ رجلًا من مُزينة . فمرّ على الأوس والخزرج، وهم يقتتلون، وكانت الأوس حلفاء مزينة ، فدخل المزني مع حلفائه فأصيب . فمرّ به ثابت بن المنذر بن

---

١) تُطلّ : تهدر ولا يُثأر بها . العاهن : المال التالد ، الحاضر ، المقيم الثابت ؛ من عهِن اليه : عهد ، وعهن لفلان مراده : عجّله . —اراد حضّ بني كنانة على الاخذ بالثار فقال : ان دماءهم مهدورة بينا دماء عوف ، اعدائهم ، يطالب بها اصحابها بعجلة فينالون قيمتها فكأنها حاضرة ثابتة . وفصّل المعنى في البيت التالي .

٢) الكَلَف : لون بين السواد والحمرة ، النمَش . الظعائن : ج . الظعينة : الهودج — يقول : اذا اصبتم بني عوف بـدمٍ نالوا من اموالكم قيمته . اما اذا اصابوكم هم فان دماءكم تظلّ مهدورة كأنها الكَلَف على هوادجهم .

٣) الوتر : الذحل، الثار ، العوض او الدية . المحامل : ج . المحمل : المعتمد . اراد بمحاملكم : وكلاءكم الذين تعتمدون عليهم . — يتابع المعنى نفسه فيقول : ان الاعـداء طلبوا بدمائهم فادرك مولاهم ما اراد . اما وكلاؤكم فأبوا ان يطالبوا بدمائكم .

٤) الحفائظ : ج . الحفيظة : الذبّ عن المحارم ، الغضب . — يدفعهم في هـذا البيت الى طلب الثأر فيقول ان الغضب للمحارم من افضل السلاح

حزام ، ابو حسان الشاعر ، فقال : يا « اخا مزينة ما طرحك في هذا المطرح فوالله انــك من قوم ما يحمونك .» فرفع جُوَيّ رأسه اليه، وهو يجود بنفسه، فقال : « اعطي الله عهــدًا ليُقتلَنّ منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا اعرج.» فسارت كلمته حتى بلغت مزينة فاخذوا بثاره . وفي ذلك يقول كعب (حماسة ابي تمام — طبعة Freytag — ص ٤٤١) :

لقــد ولّى أليّته جُــوَيٌ معاشرَ غيرِ مطلولٍ أخوها.[1]

فان تهلكْ ، جُويُّ ، فكل نفس سيجلبها لذلك جالبوهــا ؛

وان تهلكْ ، جُويُّ ، فان حرباً كظنّك كان بعدَك موقِدوها.[2]

وما ساءت ظنونك ، يومَ تولي ، بارماحٍ وفى الك مُشرعوها.[3]

٨٠ ولو بلغ القتيلَ فَعالُ قومٍ لسَرّك من سيوفك منتضوها ،

لِتَذرك ، والنذورُ لهــا وفاءٌ ، اذا بلغ الخَزايةَ بالغوها.[4]

كأنك كنت تعلم ، يومَ بُزّت ثيابُك ، ما سيلقى سالبوها.[5]

فما عُــتِرَ الظباء بحيِّ كعبٍ ، ولا الخمسون قصّر طالبوها.[6]

١) الأَليّة : اليمين ، يشير الى عــين جُوَيّ وهو يحتضر . غير مطلول اخوها : اي دم اخيها.

٢) كظنّك : اي حرباً اوقدناها على ما ظننت، وجملة كظنك . . . خبر انّ .

٣) تولي : تُقسم . — اي يوم حلفت لم يسئ ظنّك بالارماح التي وفى لك بقسمك من اشترعها من رجالنا.

٤) الخَزاية : العار ، الامر الشائن ، ما يستحيا منه.

٥) بُزّت : نُزعت ، سُلبت.

٦) عُتِر : ذُبح — يعني انه لم يقتنع في اخذ ثاره بأن تُعتر الظباء. وهذا مثل . وذلك ان بعض العرب كان ينذر اذا بلغت غنمه كذا عددًا بان يذبح منها شاة او شياهاً ويطعمها المساكين . فاذا بلغت الغنم ذاك العدد كان يحتال في وفاء النذر بان يصطاد ظبياً او ظباء ويذبحها عن الغنم . المعنى : انهم لم يتاضوا بفداء عن الخمسين رجلاً، وهم ما نذره القتيل.

صبحنَ الخزرجيَّةَ مُرهفاتٍ أبان ذوي أرومتها ذووهـا .[١]

رثاء أُبَيّ

ذكر ابو تمام في حماسته (باب المراثي) اربعة ابيات لكعب في رثاء رجل اسمه أُبَيّ توفي عطشاً بين مكانين يدعى الاول منها قَوًّا ، والثاني السُّلَي. فرأينا ذكر الابيات مع بعض التعليق وهذه هي (الحماسة – طبعة Freytag– ص ٤٥١):

٨٥ لعمرك ، ما خشيتُ على أُبَيٍّ مصارعَ بـين قَوٍّ فالسُّلَيِّ .[٢]
ولكني خشيتُ على أُبَيٍّ جريرةَ رمحه في كل حيٍّ .[٣]
من الفتيـان مُحلَولٍ ، مُمِرٍّ وأمّـارٍ بارشـادٍ وغَيٍّ .[٤]
الا لهفَ الارامـلِ واليتـامى ولهف الباكيـات على أُبَيٍّ ![٥]

---

١) مرهفات : صفة السيوف : قاطعة . الأرومة : الأصل . ذوي ارومتها . . . : قال شارح الحماسة : « كانه يريد ان الذين طبعوا هذه السيوف كتبوا عليها اسماء الملوك الـذين ضربت لهم او في ايامهم» فكانوا ذوي اصلها ، فلما استلّها اصحابها ابانوا اسماءهم .

٢) قوّ : موضع ببلاد بني اسد اعلاه لهم واسفله لبني عبس . السُّلَيّ : وادٍ لبني عبس – يقول : لم اكن لاخشى عليه الموت بين ذينك الموضعين

٣) جريرة رمحه : جرّ رمحه وجنايته . – يقول انما اخشى عليه من شجاعته .

٤) المحلولي : المتناهي في الحلاوة . وكذلك الممرّ من المرورة – يعني : يأتي بالخير والشرّ والنفع والضرّ .

٥) ذكر الارامل واليتامى لان الفقيد كان يغيثهم – اورد التبريزي شارح الحماسة حكمين على هذه الابيات فقال : قال المبرّد : « هذا الشعر من اجفى شعر العرب ، لانه يُنبئ عن تقدير في المرثيّ ان تكون منيّته قتلًا ويتأسف على موته حتف انفه .» قال ابو هلال : « انما تأسف على موته عطشاً .»

الفخر والمنافسة

بين كعب وزيد الخيل[1]

الا بَكَرت عِرسي بليلٍ تلومني ،
وأقرِبْ باحلام النساء الى الردى ![2]

٩٠ امن اجل بَكرٍ قطعتني ملامةً ؟
لعمري لقد كانت ملامتها ثَنا .[3]

الا لا تلومي ، ويبَ غيرِكِ ، عارياً
راى ثوبه يوماً من الدهر فاكتسى .[4]

فاقسم — لولا ان اسرَّ ندامةً
واعلن اخرى ، إن تَراخت بي النوى ،[5]

وقيلُ رجالٍ لا يبالون شأننا :
عوى امر كعب ما اراد وما ارتأى —[6]

لقد سكنت بيني وبينك حقبةً
باطلائها العينُ الملمعة الشَوى .[7]

١) راجع المقدمة ، ص : ح

٢) وأقرب . . . : وفي رواية : وأكثر احلام النساء الى الردى .

٣) البَكر : الفتى من الابل . ثنا : مرَّة بعد مرَّة .

٤) ويب : بمعنى ويح . المعنى : لا تلومي في ان نحرت بكرًا ، وكسوت رجلًا عاريًا .

٥) النوى : التحوّل ، القصد ، البعد ، نيّة المسافر .

٦) قال الاحول : يقول : لولا قول رجال لا يبالون ما ذكروا من امري وامرك او يثنون علي وعليك امرًا لم ارتئه ولم افعله .

٧) لقد : جواب القسم في البيت ٩٢ . قال الاحول : ويروى : لقد رتعت

٩٥ فيا راكباً ، إماً عرضت ، فبلّغن
بني مِلقط عني ، اذا قيل: مَن عنا ؟ ،[1]
فما خلتكم ، يا قوم ، كنتم اذلّـةً !
ومـا خلتكم كنتم لمختلسٍ جنى !
لقـد كنتم بالسهل والحَزن حيّـةً
اذا نهشت لم يشفِ نهشتهـا الرقى.[2]
وان تغضبوا او تدركوا لي بذمّة ،
لعمركم ، او مثل سعيكم كفى !
لقد نال زيدُ الخيل مالَ اخيكم ،
فاصبح زيدٌ قد تموّل واقتنى.
١٠٠ وان الكميت عند زيدٍ ذمامة ،
وما بالكميت من خفاء لمن رأى ،[3]
يبين لافيـال الرجـال ، ومثله
يبين اذا ما قيد بالخيل ، او جرى.[4]

بيني وبينك . والعين : الوحش. والشّوى : القوائم . يقول: يكون بيني وبينك تفرّق دهر لا نجتمع على بعد مترل وتنائي محل هذه صفته تسكنه الوحش. — والمعنى : لفارقتك مفارقة لا نجتمع معها .

١) عنا: خضع ، ذلّ . ٢) الرقى : ج. الرُقية : العوذة ، ما يُصنع من العزائم لمنع سريان السُم في الملسوع ، او لاستخراج الحية من حجرها .

٣) الكميت : اسم فرس كعب . ذمامة . قـال ابو عمرو: اذا اتى ما لا يشتهي صاحبه فقد اذم. وقال غيره: يقول ان فرسي ذمام عند زيد وما به خفاء لمن رآه.

٤) افيال الرجل: الذين لا رأي لهم ولا فهم . يقول : اذا رآه الذي لا علم له بالخيل ولا بصر يُقاد او يجري علم كرمه وعتقه ولم يحتج الى ان يسأل عن نسبه .

فقال زهير لابنه: « هجوتَ رجلًا غير مفحم، وانه لخليقٌ ان يظهر عليك.»
اما زيد فاجابه من ابيات:

تقول: ارى زيدًا، وقد كان مصرمًا اراه، لعمري، قد تموّل واقتنى.
وذاك عطاء الله في كل غارةٍ مشمّرة يومًا اذا قلص الخُصى.
فلولا زهير أن أُكَدّرَ نعمةً، لقادعتُ كعبًا، ما بقيتُ وما بقي.

بينه وبين المزرّد بن ضرار

كان المزرَّد بن ضرار، اخو الشمّاخ، يتعرّض لكعب، فردَّ عليه بهذه القصيدة، مفتخرًا بنفسه وبأبيه وبقومه، ومعيّرًا الخصم باحدى المواقع، ولعلّها موقعة نخلة المعروفة في حرب الفجار الثانية (نحو السنة ٥٨٥م) التي كُسرَ فيها القرشيّون، ولحقتهم هوازن حتى الحرَم. ومها يكن من أمر فان القصيدة واردة في ديوان كعب، وفي « كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب » لابن عبد البرّ النمري. ولمّا لم يمكننا الاطلاع على الديوان، اخذنا ما رأينا منها في «الاستيعاب» بعد ان اصلحنا شيئًا من التصحيفات، مستفيدين من ترجمة باسّيه. وقد اشرنا الى كل ذلك في الحواشي. ويظهر من القصيدة ان كعبًا قالها بعد وفاة ابيه.

اتعرف رسماً بين دهمان فالرقمْ
الى ذي مراهيط، كما خُطّ بالقلمْ، (1)
عفته رياح الصيف، بعدي، بمورها،
وابرتــه الجوزاء بالوَبل والدِيَمْ، (2)

---

١) دهمان، والرقم، وذو مراهيط: اسماء امكنة. وفي بعض الروايات: زهمان – كما خُطّ بالقلم: اي ان رسم الاطلال واضح، دقيق، كالسطر يخطّه القلم.

٢) بعدي: كذا في الديوان. وفي الاستيعاب: يعدى، وهو تصحيف. المَوْر: مصدر مارَ: تردَّد، واضطرب، ثار. ابرته: كذا في الاصل، وقد ترجمها باسّيه بمعنى: ازالته. الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. الديَم: ج. الديمة: مطر يدوم في سكون، بلا رعد ولا برق، زمانًا غير محدود اقلّه ثُلث يوم.

ديار التي بتّت حبالي وصرّمت ؛
وكنت،اذا ما الحبل من خُلّة صُرِمْ ،[١]

١٠٥ فزعت الى أدماء حرفٍ كأنما
باقرانها قار اذا جلدها استحم .[٢]

الا ابلغا هذا المعرِّضَ انه
أيقظان،قال القولَ ، اذ قال،او حلم ؟[٣]

فان تسألِ الاقوام عني ، فانني
انا ابن ابي سُلمى، على زعم من زعم .

انا ابن الذي قد عاش تسعين حجة
فلم يخزَ يوماً في معدٍّ ، ولم يُلم[٤]

واكرمه الاكفاء من كل معشرٍ
كرامٍ ؛ فان كذّبتني،فاسأل الأُمم .

١١٠ اقول شبيهاتٍ بما قال عالماً
بهنّ ، ومن يشبه اباه فما ظلم !.[٥]

---

١) بتّت : قطعت، وكذلك صرمت . الخُلّة : الصديق للذكر والانثى، والمراد به هنا الانثى .

٢) ادماء : صفة الناقة المحذوفة . ذات لون مشرب بياضاً . حَرْف : ضامرة . القار : والقِير : نوع من الزفت .

٣) المعرِّض : اراد به المزرّد بن ضِرار الموجهة اليه القصيدة .

٤) عاش تسعين حجة (اطلب بحثنا عن حياة زهير في الروائع ٢٥ : ا – د)

٥) شبيهات : اي قصائد شبيهات بقصائد زهير . واردف ذلك بالمثل المشهور : « ومن يُشبه اباه فما ظلم ! » – وقد جاء في الديوان، بين البيت ١٠٩ وهذا، ثلاثة ابيات في وصف زهير وشعره لم نطّلع عليها . على ان الاصمعي رفض واحدًا منها .

اذا شئتُ اعلكتُ الجَموح ، اذا بدت
نواجذ لحييه ، باغلظ ما عجم.[١]

تعـيّرني عزًّا قديمـاً ، وسـادة
كِراماً بنوا لي المجد في باذخ الشمم !

هم الاصـل مني حيث كنت ، وانني
من المزنيـين المضيفـين للكرم ،

هم ضربوكم حين جزتم من الهُـدى
باسيافهم ، حتى استقمتم على أَمَم.[٢]

١١٥ وساقتـك منهم عصبة خِنْدِفية
فما لك منهـا قيد شبر ولا قدم.[٣]

هم الاسدعند الباس، والحشد في القرى ،
وهم، عند عقد الجار ، يوفون بالذمم؟[٤]

هم منعوا سهـلَ الحجاز وحَزْنَـه
قديماً ، وهم اجلوا اباك عن الحَرَمْ .

---

١) الجَموح: الفرس الشديد الذي يركب رأسه فلا يُردّ. وفي الاستيعاب. الجموع ، وهو تصحيف. النواجذ: اقصى الاضراس. اللحيَ: عظم الحنك. عجم: عضّ. — واعلكته: جعلته يعلك اللجام ، اي ذلّلته. اذا بدت... : في شدّة هيجانه.

٢) الأَمَم: البيّن من الامر ، القصد الوسط.

٣) خِنْدِفية : نسبةً الى خِنْدِف: امرأة اليـاس ، اراد ابناءها الذين منهم مزينة ، قبيلة الشاعر. فما لك منها... : اي كانت تلحقك عن قرب.

٤) البـاس : الشدة في الحرب ، والشجاعة. وفي الاستيعاب: الناس ، وهو تصحيف.

متى ادعُ في اوسٍ وعثمان تأتني
مساعر حرب كلهم سادة وعَم[1]
فكم فيهم من سيد وابن سيّد !
ومن عامل للخير ، ان قال او زعم !

وقد اعترضه المزرّد مرّةً أخرى . وذلك على اثر حادثته مع الحطيئة . وتفصيلها على رواية الاغاني (٢ : ٤٧) ان الحطيئة اتى كعباً ، فقال له : « قد علمتَ روايتي لكم ، اهل البيت ، وانقطاعي اليكم . وقد ذهب الفحول غيري وغيرك . فلو قلتَ شعرًا تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك ! – وقال ابو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي – فان الناس لاشعاركم اروى واليها اسرع ! » . فقال كعب قصيدة طويلة بلغت في ديوانه ٥٢ بيتاً . على اننا لم نرها فاوردنا الابيات الاربعة المشهورة ، وهي الاخيرة في رواية الديوان :

١٢٠ فمن للقوافي ? شانَها من يحوكها ،
اذا ما ثوى كعبٌ ، وفوّز جرولُ ! [2]
كفيتُك ! لا تلقى من الناس واحدًا
تنخَّل منها مثل ما نتنخَّلُ [3]
نقول ، فلا نعيا بشيء نقوله ؛
ومن قائليها من يسيءُ ويُجملُ .
نثقّفها حتى تلينَ متونُها
فيقصر عنها كلّ ما يُتَمَثَّلُ . [4]

---

١) اوس وعثمان : ابنا عمرو بن ادّ ومزينة ، اراد قومها . مساعر : ج . مسعر : ما تُسعر به النار اي توقد ، ثم موقد نار الحرب كأنه آلة في ايقادها . العَمّ : الجماعة الكثيرة .

٢) شانها : جاء بها شائنة اي معيبة . وفي الاغاني : شأنها . فوّز : مات .

٣) تنخّل : تخيّر. ٤) يتمثّل : يضرب مثلًا .

فاعترضه المزرّد فقال :

... اذ خلَّفتني خلفَ شاعرٍ من الناس لم اكفِ ولم انتحلِ
فان تخشبا أخشِبْ، وان تتنخّلا، وان كنتُ افتى منكما ، انتخّلِ
فلستَ كحسّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ، ولستَ كشمّاخٍ ، ولا كالمخبَّلِ .

حكميات شتى

تحقّق مؤلم

لو كنت اعجب من شيء لأعجبني
سعيُ الفتى ، وهو مخبوءٌ له القدرُ ؛
١٢٥ يسعى الفتى لأمورٍ ليس يُدركها ؛
والنفسُ واحدةٌ ، والهمُّ منتشرُ ؛
والمرءُ ، ما عاش ، ممدودٌ له أملٌ :
لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ .

ردّ على جاهل

ان كنتَ لا ترهب ذمّي ، لما تعرف من صفحي عن الجاهلِ ،
فاخشَ سكوتي ؛ اذ انا منصتٌ فيك لمسموعٍ خنى القائلِ .[1]
فالسامعُ الذمَّ شريكٌ له ، ومُطعم المأكول كالآكلِ .
مقالة السوء الى اهلها اسرعُ من منحدرٍ مائلٍ ،[2]
ومن دعا الناس الى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ .

---

١) الخنى : الفحش في الكلام
٢) مائل : وروى الجاحظ في كتاب الحيوان : سائل

٢٦ ١٢٨

فلا تُهجْ ، ان كنتَ ذا إربةٍ ، حربَ اخي التجربة العاقلِ . [1]

الشباب والشيب

بانَ الشباب ، وامسى الشيبُ قد أزِفا

ولا ارى لشبابٍ ذاهبٍ خلفا !

عاد السواد بياضاً في مفارقه ،

لا مرحباً ها بذا الشيب الذي أزِفا !

١٣٥ في كل يوم ارى فيه مبيّنةً

تكاد تسقط نفسي عندها أسفا .

ليت الشبابَ حليفٌ لا يزايلنا !

بل ليته ارتدّ منه بعضُ ما سلفا !

---

١) الإربة : الدهاء والاحتيال . ذو اربة : صاحب دهاء — وهذا البيت لم يذكره ابن هشام المأخوذة عنه الابيات السابقة ، بل ذكره الجاحظ الذي اورد الابيات ، ما عدا الثالث منها ، في كتاب الحيوان (الروائع ١٨ : ٨-٩)

un peu de l'anarchie, traditionnelle hélas! chez tant de « ustazes. »

ثم يذكر الكاتب صفات المقدّمات والشروح ، والقطع المختارة من الدقة والضبط ، ويختم قائلاً :

« Le temps est également passé où sur l'œuvre d'un auteur, les « critiques » n'apportaient que des formules ampoulées, laudatives et grotesques. M. Boustany, lui, procède avec une minutieuse analyse... En sorte que les textes dont se forme le recueil ne sont pour ainsi dire que les pièces justificatives de son jugement. Ces pièces, en vérité, sont établies avec une précision à laquelle il nous faut bien rendre hommage. Un manuel de vulgarisation n'en est pas moins une œuvre scientifique...

« Analyse, synthèse, précision. Et l'on comprendrait mal que la clarté ne se dégage pas de tout cela. Les presses de l'Imprimerie Catholique se sont chargées de rendre la superbe ordonnance du fond par une exécution typographique parfaite...

« Il nous semble juste de placer la méthode de M. Boustany dans le mouvement qui tend aujourd'hui à utiliser pour l'étude de l'arabe, les principes de l'enseignement moderne. Ainsi présentés, les vieux auteurs de la Bâdia nous apparaissent avec un intérêt nouveau, nous dirons même avec un intérêt que nous ne leur soupçonnions pas. Voilà pourquoi toutes nos félicitations iront à M. Fouad Boustany, dont l'avenir s'annonce déjà si brillant. »

J. H.

Le Réveil, Le Caire, 15 Avril 1928

ونشرت جريدة L'Information المصرية ايضاً المقال نفسه . وكانت جريدة Le Réveil البيروتية قد وصفت على مرّتين بضعة اجزاء من « الروائع » فرأت فيها افضل طريقة لتثقيف الناشئة تثقيفاً عربياً علمياً، وختمت مقالها الاول قائلة :

« Que M. Boustany continue ses efforts — Ils sont hautement appréciés par l'élite intellectuelle arabe. »

Sacha

Le Réveil, Beyrouth, 15 Juillet 1927

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الرابعة

ظهر حتى الآن

٣١ — الاعشى الاكبر : منتخبات شعرية

٣٢ — كعب بن زهير : بانت سُعاد ، ومقطّعات شتى

٣٣ — حسّان بن ثابت : منتخبات شعرية

٣٤ — الاخطل : مدائح منتخبة

يظهر قريباً

الاخطل	:	منتخبات شعرية : ٢
الاخطل	:	منتخبات شعرية : ٣
الفرزدق	:	منتخبات شعرية : ١
الفرزدق	:	منتخبات شعرية : ٢
جرير	:	منتخبات شعرية : ١
جرير	:	منتخبات شعرية : ٢

